روايات عبير

الآمال تتحقق

www.elromancia.com

مرمورية

Kathleen WEST

N° 615

روايات عبير

قامت "كارين ديفيز" الطبيبة الشابة برحلة
إلى "كولورادو" لقضاء أول عطلة حصلت عليها طوال
حياتها المثقلة بالمسؤوليات بهدف الاستجمام والتفكير في بعض
مشكلاتها على نحو موضوعي.
ما لبثت أن التقت بـ"ماكس أوكونر" ذلك الشاب الذي استطاع أن يلفت
انتباهها ويخرجها من وحدتها.
رأته بعيني رأسها يلعب مباراة كرة قدم مع رفاقه بداخل حجرته بالفندق،
ويلجأ إلى الغش في لعب الورق خشية الخسارة بين عدد آخر من
مثل هذه التصرفات غير المسؤولة.
وعرض عليها أن تكون زوجة له...

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9953-424-91-8
9 789953 424910

المقدمة

في أحد جبال "كولورادو"، وبين ممارسي رياضة التزحلق على الجليد المبهرة بدأت أحداث هذه الرواية المشوقة بين بطلين على طرفي النقيض.

يتلاشى عدم التوافق تدريجيا مع توالي الأحداث، والتأم شمل الشاب والفتاة في ظروف مذهلة.

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

شخصيات الرواية

- "كارين ديفيز" : بطلة الرواية- طبيبة شابة متحفظة.
- "بريدجيت" : شقيقتها الصغرى.
- "ليزلي" : صديقتها.
- "ماكس أوكونر" : رجل الأعمال الناجح... بطل الرواية.
- "تيري- "فريد" - "آرثر" - "سكيب" : أصدقاء "ماكس" ومعاونوه في العمل.

الغلاف الأمامي

رفعت "كارين" سماعة الهاتف بحجرتها بالفندق حيث اتصلت مرة أخرى برقم موظفة الاستقبال التي سرعان ما تعرفت على صوتها:

- لاتزال لديك مشكلة ما؟

- نعم. هناك احتفال ما بالحجرة المجاورة.

- حقيقة؟ تعنين هؤلاء الشبان القادمين من "أتلانتا"؟

- أعني هؤلاء الشبان الذين لا يكفون عن القرع على الجدران. هلا تفضلت بأن تبعثي إليهم بالحارس الليلي حتى يتولى تهدئتهم؟

وقررت "كارين" أن تقوم بهذه المهمة بنفسها في غياب ذلك الشخص المطلوب.،وعندما قرعت باب الحجرة المضيئة سألها ذلك الشاب ذو الصوت العذب الذي فتح الباب لها متشدقا:

- حسنا يا عزيزتي. هل جئت تشاركيننا أمسيتنا المتواضعة؟

- جئت أطلب منكم إيقاف هذه الضوضاء المقلقة.

ثم ما لبثت أن سألت متعجبة:

- كرة قدم بحجرة النوم؟!

www.elromancia.com

الفصل الأول

"لن يكون هذا شيئا جيدا. لن يكون هذا شيئا جيدا. لن يكون هذا شيئا جيدا.."

حدثت ضجة عالية تبعها صفير مدو وصرخات مزعجة قاطعت اللحن الذي كانت "كارين ديفيز" ترددده بذهنها وهي تكز على أسنانها منذ حوالي الساعة.

كانت تلك هي المرة العاشرة على الأقل التي دوت فيها تلك الضربة على الجدار منذ الضربة الأولى التي كانت قد أيقظتها من نومها والتي قررت أن تكون الأخيرة أيضا.

قالت مزمجرة بينما كانت تخرج رأسها ثم كتفيها ثم ذراعيها من تحت أغطية الفراش الثقيلة:

– كنت محقة يا "ليزلي". هذا فظيع.

فقد كانت "ليزلي" قد أكدت لها أن البرد في "كولورادو" مختلف.. أكثر جفافا. ستلحظينه بصعوبة.

ها! لم تنجح تلك الكومة من الأغطية الثقيلة في تخفيف حدة هذا البرد القطبي الذي ساد حجرتها الفاخرة التي كادت أن تتجمد بداخلها.

قالت محدثة نفسها: بأنها لن تستهين برأي صديقتها العزيزة بعد الآن.

تنهدت بعناء ثم مدت يدها إلى سماعة الهاتف. ارتعشت عندما لامست السماعة الباردة أذنها. طلبت الرقم الذي أصبح مألوفا لها الآن. أجابها صوت مرتفع:

– الاستقبال.

– هنا الحجرة رقم ٢١٢. أريد حارسا ليليا من فضلك؟

– هل لا تزال لديك مشكلة ما؟

اتسم صوت "كارين" في تلك اللحظة بحماس أكبر مما شاب ذلك الصوت الأنفي الذي كانت قد حدثت موظفة الاستقبال به في المرة الأولى عندما طلبت موافاتها بأغطية إضافية للفراش، وفي المرة الثانية عندما أرادت أن تطمئن على سير العمل في إصلاح جهاز التدفئة المركزي.

قالت "كارين":

– نعم. احتفال ما بالحجرة المجاورة.

– حقيقة؟

وأحست "كارين" للمرة الأولى أنها قد شدت انتباه موظفة الاستقبال.

– تعنين هؤلاء الشبان القادمين من "أتلانتا"؟

– أعني هؤلاء الشبان الذين لا يكفون عن الضرب على الجدران. هلا تفضلت بأن تبعثي إليهم بالحارس الليلي حتى يهدءوا قليلا – آسفة فقد انصرف لإجراء جولة حول المبنى.

– ألا يمكنك الاتصال به؟ لابد أن يكون معه جهاز اتصال محمول. أليس كذلك؟

– بلى. لكنه ليس في حالة عمل مرضية دائما.

وضع طبيعي للغاية مثله مثل جهاز التدفئة، وهذه العطلة التي تقضيها في هذا المكان.. ومثل هذين الشهرين الماضيين على وجه العموم.

لقد اعتقدت بحق أن السفر من الممكن أن يساعدها على التفكير في مشكلاتها على نحو أكثر موضوعية...

قالت لموظفة الاستقبال:

– أمر يدعو إلى الأسف. سوف أتولى هذا الأمر بنفسي.

دفعت "كارين" بأغطية الفراش بعيدا عنها متذرعة بكل ما لديها من شجاعة. فارق شفتيها تنهد ارتياح عندما لامست قدماها– أو بالأحرى جوربها– الأرض؛ لأن البرودة لم تنفذ من خلال النسيج الصوفي الثقيل المصنوع منه.

زفرت نفخة طويلة: لا سحب بخار معلقة في الجو كما كان الحال قبل ذلك، وعاد الدفء بقدر قليل. كانت تلك علامة تدعو إلى التفاؤل.

قرعت باب الحجرة المجاورة. فتح لها شاب قوي البنية بني العينين ذو فروة رأس كثيفة شقراء مذهبة؛ فاحست على الفور بأن انفعالها قد كاد أن يتبدد.

هبطت نظرة الشاب إلى سترة "كارين" ذات الوبر، ومنها إلى ثوب نومها المصنوع من نسيج الفانلة، فظهرت في الحال غمازتان على كلا جانبي فم

الشاب لحظة ابتسامته على نحو غير آبه.

شدت كتفيها، وأملت على نفسها احتمال نظراته إليها، ولم يكن ذلك بالرأي الصائب؛ إذ سفعت نظرات عينيه الملتهبة عمق جسدها الذي كان لايزال مخدرا بفعل شدة برودة الجو.

يا إلهي! يا له من رد فعل غريب. كل ذلك لأن هذا الشاب شديد الجاذبية... لا. من المستحيل أن يكون هذا هو السبب. إنه الإرهاق بلا شك.. أو ارتفاع في درجة حرارتها. هكذا أخذت تناقش الأمر مع نفسها في صمت عندما بادرها -ذلك الشخص الذي لم يسبق لها معرفته- بقوله:

- حسنا يا عزيزتي. هل جئت تشاركيننا أمسيتنا المتواضعة؟

قال ذلك متشدقا بصوت عذب كان له وقع دفء غريب على نفس الفتاة؛ مما أصابها بشدة الانزعاج.

- جئت أطلب منكم إيقاف هذه الأمسية. أعني إنهاء هذه الضوضاء.

أفلتتها لحظة رؤية نقطة عرق تسيل من صدغ الشاب منحدرة إلى فكه. تماسكت بعد ذلك واستطردت تقول:

- أرجو بحق أن أتمكن من النوم بضع ساعات هذه الليلة.

- من المفترض أن يكون ذلك ممكنا.

رأت نظرته تنتقل إلى ياقة سترتها المفتوحة؛ فأحست مرة أخرى بتيار حار يتسرب إلى داخلها.

لو كانت امرأة مستهترة أو كانت مرتدية ثيابا شفافة ربما أمكنها أن تفهم مغزى ذلك الشعاع الذي اتقد متوهجا في هاتين العينين البنيتين لكن فتحة العنق الضيقة لهذا الثوب لم تكشف عن أي شيء كما لم يضف شعرها الأشعث عليها أية جاذبية. كان ذلك دليلا قاطعا على أن الشاب لم يتمتع بأي قدر من التمييز. كان ببساطة ووضوح تامين مجرد همجي.

قالت محاولة أن تشغل ذهنها عن تيار المشاعر المنبعث منه:

- أقدر تعاونكم أيما تقدير.

وما إن استدارت فوق كعبيها حتى دوت ضربة أخرى من داخل الحجرة تبعتها صيحة مدوية:

- هيا يا "ماكس"! سوف يرى "چينينج" ما إذا لم تكن محاصرا.

سألت "كارين" غير مصدقة بينما عادت تستدير نحوهم مرة أخرى:

- كرة قدم؟

أجابها "ماكس" مبتسما:

- مجرد بضع تمريرات بسيطة. الحجرات كبيرة.

- وأنت أيضا كبير. ينبغي أن تمارس هذه اللعبة بالخارج.

- نعم يا سيدتي. آسف أنني قد أزعجتك. كنا نظن أن بقية الطابق خاو بسبب تعطل جهاز التدفئة.

- أصبح يعمل الآن.

- حقيقة؟ من الصعب تبين ذلك. هذا الممر بارد للغاية.

وقفت "كارين" أمام باب حجرتها تتساءل: أي تأثير هناك لأن تكون أقل تحفظا وقادرة على الابتسام والمزاح مع شخص من هذه النوعية. لقد حاولت على مدى سنوات طويلة وبشتى الطرق أن تتغلب على ذاتها حتى تتخلى عن هذا التحفظ. لم تكن الابتسامات أو السحر لتمنحها شهادة تخرج في كلية الطب البشري بل كان التصميم والثقة بالنفس حليفيها على ذلك الدرب وبغض النظر عما إذا كانت صحبتها قد بدت مملة أحيانا.

دخلت تحت أغطية فراشها مرة أخرى مضطربة قليلا؛ فقد كان ذلك اللقاء التافه كافيا لأن يدفعها إلى الشك في ذاتها. كل ذلك بسبب شاب.. شاب شديد الجاذبية في الواقع.

استغرقت "كارين" في النوم سريعا، وعندما استيقظت تبينت أنها كانت محتضنة الوسادة. ألقت نظرة على الساعة المنبهة فرأت أن الوقت لايزال مبكرا جدا، ومع ذلك لم يمكنها الاستسلام للنوم مرة أخرى.

تسلل شعاع شمس من بين الستائر إلى داخل الحجرة.

وضعت رأسها تحت الأغطية آملة أن يمتد بقاؤها في الفراش حتى وقت الضحى. هبت جالسة على أثر سماع موجة من الضحك بصوت عال آتتها من الحجرة المجاورة. حسنا جدا لا تأخير في النوم ولا بقاء بالفراش.

ارتدت "كارين" ملابسها مسرعة وقد قررت الاستمتاع بوجبة فطور شهية بينما ترى- وللمرة الأولى- "كولورادو" في ضوء النهار لكن ما إن

www.elromancia.com

استقرت إلى مائدة صغيرة ذات غطاء باللون الأصفر الباهت حتى دخل "ماكس" وفريق كرة القدم -الذي ينتمي إليه- قاعة الطعام.

لاحظت الفتاة بينما كانت تتأمل عرض منكبيه وجمال قسماته أنه لم يكن لها والليلة السابقة أي تأثير عليه؛ فلم يترك طول السهر أية علامة في عينيه الشيطانيتين اللتين صوبتا نظراتهما الساخرة إليها مباشرة.

حولت بصرها بعيدا عنه لكن ليس بالسرعة التي كانت ينبغي أن تجذبها رؤيته يحني رأسه إليها من قبيل التحية. عظيم جدا... سوف يعتقد الآن أنها كانت تختلس النظر إليه. لم يكن ذلك بالتصرف الخطأ ولكن...

خبأت وجهها خلف قائمة الطعام المدونة على نوع جيد من الورق المقوى متمنية ألا يكون وجهها قد امتقع بالقدر الذي كانت تشعر به.

وجاء على الفور صوت النادلة التي كانت تمضغ علكتها بحماس شديد بينما كانت "كارين" مستغرقة في اختيار الفطور الذي رغبته:

- حسنا يا عزيزتي ماذا تطلبين؟

- الأصناف رقم ٣ من فضلك.

بيض مخفوق، وكرات اللحم ضاربة عرض الحائط بحذرها من الكوليستيرول؛ إذ كانت قد قررت أن تستمتع بطعامها أثناء فترة عطلتها على الرغم من أنها هي التي كانت تمنع بكل قوة إعداد الأطعمة المحتوية على الكوليستيرول بالبيت.

- ومعها شرائح خبز بدلا من الفطائر لو كان ذلك ممكنا.

فأجابتها النادلة مفرقعة فقاعة العلكة:

- آسفة. لا نسمح بأي تغيير في الأصناف المدونة بالقائمة.

- حسنا...

وبدأت "كارين" تطالع قائمة الطعام من جديد.

- ما رأيك في أن تختاري طعامك على مهل بينما أذهب إلى المائدة الأخرى لأقف على طلبات الجالسين إليها؟

ودون أن تنتظر النادلة الشقراء إجابة ابتعدت. رأتها "كارين" مشدوهة تنعطف صوب المائدة الأخرى: مائدة "ماكس".

رمقتها تلك المرأة الأخرى بابتسامة أعرض من صدرها الممتلئ. كان من

الأمور التي لم يمكنها تصديقها كيف أن وجود مثل هذا الرجل شديد الجاذبية قد استطاع تحفيز بعض أفراد الجنس الآخر بمثل هذه السهولة.

- حسنا أيها الشبان ماذا أطلب لكم؟ القهوة طلبتها لكم تلقائيا.

قالت النادلة بينما انحنت توزع عليهم قوائم الطعام:

- لا مشكلة. ألقوا نظرة على هذه بينما أحمل إليكم القهوة المطلوبة.

وفي غمضة عين اختفت متجاهلة محاولة "كارين" أن تلفت انتباهها، وظلت "كارين" تنتظر مدة خمس دقائق أخرى بينما كان "ماكس" قد بدأ يتناول قهوته الساخنة.

قالت النادلة بينما كانت تضع آخر الأقداح المطلوبة فوق منضدة الشبان:

- حسنا يا أحبائي سوف أعود بعد ما أنتهي من خدمة الصغيرة التي هناك.

-الصغيرة؟

ألقت "كارين" بنظرة من فوق كتفها تبينت على أثرها أنها هي التي كانت معنية بهذا الوصف، وأن تلك التمتمة الرجولية التي كانت قد سمعتها على أثر ذلك كان "ماكس" مصدرها.

تراجعت الفتاة عن النظر في اتجاههم. لن تسمح لأعصابها بأن تتوتر بسبب مثل هذه التفاهات؛ فقد كان هناك طلب -للاسترخاء وللمتعة للتخلص من جميع متاعبها- كما أكدت "ليزلي" ولإعادة النظر في جميع أخطائها وتقويم كافة أمورها، ولتمهيد الطريق أمام حياة أفضل من أجل شقيقتها الصغرى "بريدجيت".

استقبلت النادلة بابتسامة، وأمكنها أن تخبرها بطلبها بنبرة ودود على الرغم من أنها قد أجابتها بأن عصير العنب لم يكن بالقائمة وأنه عليها أن ترضى بعصير الطماطم. رأت أن كلمة السر في التعامل مع أمثالها هي الابتسام.

- شيء آخر يا عزيزتي؟

- لا بأس من عصير الطماطم. شكرا.

- لا مشكلة يا عزيزتي. سوف آتيك بالطلبات في غضون دقائق معدودة.

www.elromancia.com

عادت النادلة إلى مائدة "ماكس" تحيط بها ضجة عالية. أملت "كارين" على نفسها ألا تسمع ما يقال بين أعضاء ذلك الفريق المزعج. لم يكن غريبا عليها أن تسمع اثنين منهم يعرضان على "شوشو" - كما حلا لهما أن يدعواها- أن تأتي لمراقصتهما بعد ظهيرة أحد الأيام، ولم يكن غريبا أن يبدو على "شوشو" كل ذلك القدر من السعادة بسبب هذا النجاح الذي حققته.

انتزعت "شوشو" نفسها بعد ذلك من "ماكس" و"فريد" و"آرثر" و"سكيب" و"تيري" حتى تذهب وتحضر فطور "كارين" التي ما لبثت أن بدأت تستمتع بأولى لحظات عطلتها.

كانت وجبتها متميزة، وكان مشهد الجبال من خلال النافذة الزجاجية بقاعة الطعام رائعا إلى أقصى الحدود. كانت "ليزلي" محقة فيما يتعلق بقولها إنها بالمقارنة بعظمة تلك الجبال الشاهقة تبدو المشكلات رغم جسامتها- وكأنها تتضاءل وتفقد أهميتها كما يفعل السحر.

سألتها "شوشو" بعد ما تناولت وجبتها:

- قليل من القهوة تنهين به وجبتك؟

- لا. شكرا. أود ورقة الحساب من فضلك؟

- تم سداده يا حبيبتي.

- معذرة؟

- هناك معجب بك يا جميلتي.. وليس شيئا على الإطلاق. هو الذي سدد عنك الحساب، وأعطاني أيضا منحة سخية.

- لكنني... لكنني...

- هيا يا عزيزتي. ليس هذا بالشيء الكبير.

فأجابتها "كارين" بنبرة مقتضبة:

- إنه كذلك بالنسبة إلي. لم أتعود أن يسدد لي الغرباء حساباتي.

- لم يكن ذلك سوى لفتة ودية من جانبه. الشبان هنا دائما ما يتصرفون على هذا النحو في هذا المكان.

- ليس هذا هو الموضوع.

- ثمة مشكلة يا سيدتي؟

اختلجت أوصالها لسماع ذلك الصوت الحاد ذي النبرة المسترسلة. لم

تكن قد رأت "ماكس" أثناء اقترابه منها بسبب انشغالها بذلك الموقف المحرج الجديد.

يا إلهي! وهي التي لا تحب المتاعب. لم يتوفر لديها الوقت اللازم للسيطرة على الموقف حتى تدخلت النادلة بقولها:

- لا تسمح للغرباء بدفع الحساب عنها.

ارتسمت على شفتي "ماكس" ابتسامة عريضة:

- معلومة قيمة. لكنني لست غريبا عنك يا عزيزتي. هل نسيت؟ سبق لنا لقاء في الليلة الماضية، وكنت ترتدين ثوب نومك الجميل.

تورد وجنتا "كارين" وأضاء في نظرة "شوشو" شعاع فضول غريب.

- إنني على علم تام بأين وكيف التقينا يا سيد.

- "أوكونر".. "ماكس أوكونر".

- يا سيد "أوكونر". اسمعني: لا أحاول ابتداع روايات لكنني لا أستطيع بحق أن أقبل أن تدفع لي ثمن وجبتي. إنني...

- أعلم. لا تسمحين للغرباء بأن يدفعوا لك شيئا. هذا موضوع منته. ومع ذلك ظننت أن هذا أقل ما يمكنني أن أفعله بعد ما أزعجناك وحلنا دون أن تنامي جزءا من الليل.

أبدت النادلة استعدادا لأن تأتي بمقعد تجلس عليه لتصغي إلى بقية الحديث. لاحظ "ماكس" هذا كما لاحظته "كارين"؛ لهذا قال:

- "شوشو". هلا تفضلت بأن تحضري لي قدح قهوة آخر؟ وقدحا من أجل هذه السيدة. أرى أننا بحاجة إلى دقيقة أو اثنتين لتسوية هذا الأمر.

تنازعتها رغبتان: أن تشكره على تخليصه إياها من تلك النادلة التي أرادت أن تصغي إلى كل ما كان يقال، وأن تطلب منه أن يذهب بعيدا عنها.

عندما جلس بجسده العملاق فوق المقعد المقابل لها اختارت "كارين" أن تعرض حلا وسطا:

- ألم يعلمك أحد قط أن للناس أسماء؟ ليس اسمها. "شوشو" كما أنني لا أدعى عزيزتك.

- بلى. ما قلته صحيح.

- إنني... ماذا؟

www.elromancia.com

– إنه اسمها الأول "شوشو" مدون على شارتها خسارة يا عزيزتي ألا تحملين شارة.

بدا صوته وكأنه يدثر كلماته بارق الأحاسيس. نظرت "كارين" إلى عمق عينيه البنيتين الشيطانيتين، وهدأ غضبها إلى حد كبير. كانت مدركة أنها ستخرج من ذلك الموقف محطمة؛ لأن المزاح والمداعبة لم يكونا من خصالها. لم تشعر قط من قبل بضآلة شأنها حتى كانت بصحبة هذا الشاب شديد الجاذبية ذي المنكبين العريضين اللذين ملآ قميصه الصوفي بجدارة، والذي نطقت تعبيرات وجهه بالمرح والاهتمام الرجولي. مادامت استطاعت تخطي العقبات والتغلب على المصاعب بمهارة المحترفة المقتدرة، واتخذت القرارات الحاسمة؛ لأنها كانت مفتقرة إلى اعتياد مثل تلك المواقف فلم يتوفر لها من قبل وقت تخصصه لمثل... هذه النوعية من الأمور.

– مرة أخرى يا سيد "أوكونر" إنني مقدرة...

– ناديني "ماكس".

– حسنا يا "ماكس" إنني مقدرة لفتنتك لكنه بإمكاني أن أسدد قيمة فطوري. رأيت من الأفضل دائما ألا أقبل أي معروف قبل أن أعلم ما هو المقابل المتوقع له تفهم ما أعنيه.. أليس كذلك؟

أجابها بنبرة متوترة:

– ليس تماما. لم أعتبر اللطف أو الكياسة معروفا قط. وعندما أقدم معروفا ما لا أنتظر ردا له. تقديمي إليك وجبة الفطور هذه ليس أكثر من أسلوب للاعتذار عما بدر منا في الليلة الماضية. ولا شيء أكثر من هذا.

أحست "كارين" بالحرج؛ إذ أصابها تسرعها في الحكم على الأشياء وضيق الأفق الذي كان تصرفها دليلا عليه بشديد الخجل. قالت بصعوبة شديدة بينما أملت على نفسها أن تبتسم أيضا:

– حسنا يا "ماكس". قبلت مبرراتك وأشكرك على كرمك. أخشى أن تكون الرحلة قد أصابتني بالإرهاق وفقدان التوازن.

رفع "ماكس" حاجبيه وحتى رأسه فأجابته "كارين":

– الرحلة من "سانت لويس".

تمتم الرجل بصوت خافت. فقالت على الفور:

– أعلم. أعلم. المسافة ليست بعيدة جدا لكن خيل إلي أن الرحلة بالطائرة لن تنتهي أبدا بسبب هذا الطقس غير المحتمل.

– أوصلت أمس في المساء؟

أومأت برأسها دهشة إزاء سؤاله. ربما كان على علم بلحظة وصول كل امرأة إلى هذا الفندق. حكم متسرع آخر...

قال:

– يخيل إلي أن هذا هو السبب في وضعك بالطابق الأول معنا.

نظرت الفتاة إليه دون أن تفهم ما كان يعنيه.

– وصلنا في حوالي الساعة السادسة بعد ما كان قد تم تخصيص الحجرات للعدد الأكبر من الناس بالطوابق الأخرى. كان من المفترض تسكيننا في حجرات في أربعة أركان الفندق لكننا طلبنا أن نكون في حجرات متجاورة لسهولة الاتصال ببعضنا البعض، ولم نسمح لأمر تافه مثل تعطل جهاز التدفئة بأن يفسد علينا سعادتنا.

قالت "كارين" رافعة عينيها نحو السماء:

– يا إلهي القدير!

– أي نعم يا سيدتي. آخذ سعادتي مأخذ الجدية.

– دائما مستعد للاستمتاع بوقتك. أليس كذلك؟

– إنه أسلوبي في النظر إلى الأمور. إنني...

وهنا قاطعته "شوشو" بينما وضعت قدحي قهوة أمامهما:

– حسنا. أرى أن الجليد قد بدأ يذوب.

ثم وبابتسامة موجهة إلى "كارين" قالت:

– من الصعب أن تظلي مقطبة بصحبة شاب جميل مثله. أليس كذلك يا عزيزتي؟

فأجابتها "كارين" بالاحتشام اللائق:

– أحيانا.

فقال "ماكس" مبادلا النادلة بابتسامة كشفت عن غمازتين جميلتين بوجنتيه:

– لا تتوهمي أشياء يا "شوشو" فهي التي عملت على ترضيتي.

www.elromancia.com

– هيا يا "ماكس".. شخص في مثل جاذبيتك. لا ترو لي قصصا واشرب قهوتك وهي ساخنة وأنت أيضا. سوف تكونان بحاجة إليها لمواجهة تلك المنحدرات.

فقال "ماكس":

– فورا.

وبابتسامة رضا ابتعدت "شوشو" عنهما متوجهة إلى مائدة أخرى.

قالت "كارين" وقد لاحظت أحد الشبان وقد وضع بعض الأدوات بجوار طبقه:

– أعتقد أن أصدقاءك ذاهبون.

لم يبد "ماكس" أية نية للإسراع وراءهم كما كانت تأمل بينما أخذ التوتر الذي بداخلها– الذي كانت تقاومه بكل قوتها– يزداد شيئا فشيئا.

قالت محاولة الاحتفاظ بنبرتها ودية وحازمة في ذات الوقت:

– حسنا. وقت مناسب لأن أعود إلى حجرتي. أريد أن أجري اتصالا هاتفيا.

– لا تريدين أن تعتبريني كاذبا يا عزيزتي؟ الفكرة السامية التي تأخذها "شوشو" عني تهدد بإصابتي بضربة عنيفة، وستكون تلك خسارة فادحة... أليس كذلك يا... عزيزتي؟

فاجابته وعلى وجهها ابتسامة خبيثة:

– "كارين ديفيز".

– هكذا لم يكن ذلك مخيفا جدا.. أليس كذلك؟

– لا أعلم. هل أدمي؟

فقال وقد تلألأت عيناه ثم نطقتا بالفضول:

– ولا بمقدار قطرة. هناك شيء واحد ينبغي أن أعرفه: أين خاتمك؟

– خاتمي؟

– ذلك الذي يظهر صراحة لأي رجل ما إذا كانت المرأة التي أمامه مرتبطة.

– لست متزوجة.

– مخطوبة؟ محبوبة؟

فقالت "كارين" وقد أصابها قدر من الإحباط على أثر هذا الاستجواب:

– لا!

فقال "ماكس" بابتسامة مشرقة:

– حسنا جدا. وحيث إن كلينا حر طليق مثل الهواء ليس هناك ما يمنعك من أن تأتي للقائي بساحة التزحلق بعد ظهر اليوم.

اتجهت نظرة "كارين" إلى القمم المكللة بالغيوم على الجانب الآخر من النافذة. كان عدد من المتزحلقين قد تجاوزوا منطقة المنحدرات متناثرين فوق المنعطفات برشاقة راقصين رياضيين. أثار أسلوبهم ورشاقتهم شديد إعجابها وعميق جزعها في ذات الوقت. تصورت نفسها وكأنها مع "ماكس" هناك على الجليد تتحرك بسهولة بالغة باستخدام حذاء التزحلق، وتسقط على ظهرها أو يغرس رأسها حتى العنق في كومة من الجليد.

أجابته غير راغبة في أن تعرض نفسها للسخرية:

– لا. أشكرك.

– لا للتزحلق أم لا لي؟

– وهل يمكن الفصل بين الاثنين؟

ما إن قالت "كارين" ذلك حتى تبينت مدى افتقارها إلى الكياسة. توتر فك "ماكس" علامة على تأثره بما قالته.

قال بنبرة رقيقة:

– فهمت. ائذني لي بالانصراف يا "كارين"؛ أريد اللحاق بأصدقائي.

نهض وأعاد المقعد إلى مكانه وانصرف على الفور بعد ما قال:

– أرجو لك يوما سعيدا. ولا تقلقي لن نزعج نومك هذا المساء.

ولم تخطئ الرأي فيه؛ إذ كان "ماكس أوكونر" رياضيا موهوبا. اجتاز المنحدر برشاقة نادرة. رأته "كارين" يهبط أحد المرتفعات بسرعة لا يصدق مداها مع قدرة عالية على التحكم في الاتجاه بحيث اختفت سترته متعددة الألوان من خلف صف من الأشجار.

جاء من خلفها صوت "مارشا" مدربة التزحلق التي كانت الفتاة قد تعاقدت معها على تدريبها:

– خرافي! أليس كذلك؟ مبهر.

استطردت "مارشا" تقول وعلى وجهها ابتسامة تشجيع بقدر من

www.elromancia.com

التدرب والثقة بالنفس:

– سوف تصلين إلى ما تريدين، وسوف تعشقين هذه الرياضة.

– ربما في عالم غير هذا.

– هيا! إنك مبتدئة موهوبة.

قالت "كارين" شاكية وهي تشير إلى عدد من صغار السن الذين كانوا يمارسون رياضة التزحلق في المكان المخصص لهم:

– الأطفال في سن السادسة يعرفون– أفضل مني– كيف يتصرفون.

– يتمتعون بميزة صغر أحجامهم. وبسبب قربهم من الأرض خوفهم من السقوط قليل جدا.

– ليسوا مثلي. ملكة السقوط...

– أؤكد لك أن مرات سقوطك سوف تتناقص شيئا فشيئا.

مرت ساعة من الزمان قررت "كارين" بعدها أنها قد حققت نجاحا ملحوظا؛ إذ لم تكن قد سقطت على الأرض سوى مرتين.

ارتعدت أطرافها إرهاقا لكنها كانت مغتبطة جدا.

انحنت فوق حذاء التزحلق لتحله ولم تتمكن من مقاومة رغبة في أن تلقي نظرة في اتجاه المكان المخصص للتزحلق حيث كانت قد أبدت إعجابها بأداء "ماكس" منذ فترة سابقة.

دوت في تلك اللحظة صرخة مأساوية صدرت عن تلك المنطقة. اجتازت فردة من حذاء التزحلق المنحدر بسرعة مذهلة وعلى طريقها كان "ماكس أوكونر"! كان ذلك الحذاء قد صدم الرجل بقوة لم يسمع بمثلها أحد فطرحه فوق الجليد.

أسرع إليه رجلان في زي رسمي.

لما رأت "كارين" ذلك استفسرت من "مارشا":

– إلى أين سينقلونه؟

– إلى مركز الإسعاف هناك. ستعرضين نفسك للتزاحم.

– إنني طبيبة.

وتوجهت إلى مركز الإسعاف بعد ما بذلت جهدا في إقناع نفسها بألا تتصرف سوى مثل أي طبيب آخر.

الفصل الثاني

اعترت "كارين" حالة غريبة من الاضطراب. لم تسترح برقادها فوق الفراش، ولم تتمكن من أن تركز أفكارها اللهم سوى على "ماكس أوكونر".

أخذت تردد لنفسها أن لا خوف من ارتجاج مخي طفيف، وإن "ماكس" سوف يتغلب عليه بسهولة. لماذا إذن لا يمكنها أن تكف عن التفكير فيه؟

لم يكن من نوعيتها على الإطلاق. أدركت "كارين" ذلك لدى وجودها بمركز الإسعافات حيث وقف صديقاه "سكيب" و"تيري" في قلق تام على صديقهما العزيز "ماكس".

بدأ أحدهما يقول للآخر هل تذكر تلك المرة التي قررنا فيها القيام بجولة في "دالاس"، ورأته تلك الفتاة وصممت على أن تتبعه؟ كم كان موقفا غريبا ثم ضرب على فخذيه وانفجر ضاحكا بينما بدأ الآخر يقول أذكر أنني لم أقابل في حياتي مثل تلك الفتاة وانطباع "ماكس" عندما وقع بصره عليها!

وظل الشابان يرويان قصصا من تلك النوعية التي أثارت فيهما الرغبة في الضحك لكن ذلك لم يرق لها على الإطلاق، وكان القدر الضئيل الذي عرفته عن أسلوب حياة "ماكس" كافيا لأن تسارع بالابتعاد عنه؛ لم يكن من نوعيتها على الإطلاق، ولا من أية نوعية أخرى اعتادت التعامل معها.

وضعت كتابها مفتوحا فوق المنضدة المجاورة للفراش وتنهدت تنهد جزع. من المؤكد أن "ماكس" لم يسبق له أن سقط أثناء التزحلق. لابد أن يكون قد بذل جهدا يوميا في تدريباته عليه؛ لأن مثل عضلاته هذه لا تأتي مصادفة أو بفعل سحر ما... يا إلهي! لقد بدأت تفكر فيه من جديد.

أبعدته عن ذهنها بكامل التصميم، وأمسكت بسماعة الهاتف. أجابتها "ليزلي" عند سماع الرنين الثالث لناقوس الهاتف فأحست بارتياح شديد لسماع دفء صوتها لكنها تلقت منها نبأ لم يكن سارا تماما هو: أن "ليزلي" لن يمكنها اللحاق بها في "كولورادو".

قالت مخاطبة "ليزلي" كذبا:

– لا عليك يا "ليزلي".

– إنني آسفة جدا لكن ابنتي مصابة بنوبة حادة، وأخشى أن تتصرف بحماقة لو أني تركتها ورحلت الآن.

تنهدت "كارين" ورقدت في فراشها حيث أخذت تمرر يدا فوق الأغطية في انتظار أن تهدأ على أثر تلك المكالمة. قالت مواصلة حديثها مع "ليزلي" ومصارحة ذاتها برأيها في ذات الوقت:

– ربما كان من الأفضل أن أعود.

– لماذا؟ ألست سعيدة؟

– بلى. عشية وصولي كان جهاز التدفئة الخاص بالطابق الذي نزلت فيه معطلا، وكدت أن أموت بردا، وبعد ذلك قرر بعض الشبان لعب مباراة كرة قدم بالحجرة المجاورة طوال الليل. متعة حقيقية.

– الفندق مزدحم إذن على الرغم من أن الموسم لم يبدأ بعد... مثل قسم استقبال الحوادث والحالات العاجلة لدينا.

كان ما تشير إليه هي مستشفى "سانت لويس" أكبر مستشفيات المنطقة والتي كانت هاتان الصديقتان تعملان بها.

– أنا أيضا كان لي نصيب في إحدى هذه الحالات العاجلة.

وجذبت "كارين" الغطاء فوق قدميها بينما أخذت تروي لـ"ليزلي" تفاصيل الحادث الذي وقع لـ"ماكس".

أظلمت ظلال الغسق الحجرة مضفية على الجبال التي أطلت عليها شرفتها جوا من العظمة والرهبة.

قالت "ليزلي" بعد ما انتهت روايتها:

– ولم يسعك إذن إلا أن تقومي بدور الطبيب المعالج. من المفترض أنك في عطلة.. هذا ما أود أن أذكرك به.

– أردت فقط أن أتأكد من أن إصابته لم تكن بالغة الخطورة.

– حسنا جدا. وكيف يبدو هذا الرجل؟

لم تستطع "كارين" إخفاء الحقيقة:

– رجل وسيم جدا.

– هل ما أسمعه في نبرة صوتك اهتمام من نوع خاص؟ لا يمكنني أن أصدق أن الأمور قد بدأت تسير.

– عم تتحدثين؟

– عن عطلتك يا عزيزتي. إذ إننا نحن أطباء الأمراض النفسية لنا طرقنا في إفادة مرضانا بأساليب غاية في الدقة لكن مضمونة النتائج.

– حسنا يا طبيبة.. وإلى أين تريدين أن تصلي؟

– إلى أنك بسبيلك إلى التفكير في رجل بعيدا عن كونه حالة مرضية. إنه تقدم كبير يا عزيزتي.

– كنت أعتقد أن الهدف من رحلتي إلى هنا الابتعاد عن المشاكل وليس السعي إليها.

– تعترفين بذلك بأنك تعتبرين الرجال مشكلة.

قالت "كارين" معترضة وهي تدفع الغطاء بعيدا عنها:

– هذا ليس صحيحا.

حقيقة أنها لا تعطي الرجال أولوية في حياتها لكن لديها مبرر قوي لذلك و"ليزلي" خير من يعلمه.

– لا تكوني مدافعة إلى هذا الحد. كل ما أرجوه منك هو أن تريحي أعصابك وتستمتعي بوقتك.

– إنني واثقة بذلك، وأعلم أنني بحاجة إلى هذه العطلة، وأنني كنت أستحقها منذ زمن طويل وهذا ما ظللت ترددينه على مسمعي ومع ذلك أرى أنه من الأفضل أن أكون في البيت أواجه المشكلات بدلا من الفرار منها.

– إنك لا تفرين منها. كنت أول من يخبرك بذلك لو كان ذلك هو الحال كما تعلمين لكنني أعتقد بحق أن غيابك هذا كان ضروريا.. لك ولـ"بريدجيت".

– هل لديك أخبار عنها؟

– ولماذا تكون لدي أخبار عن شقيقتك الصغرى؟

– لا أدري. كنت قد قلت لها إنه إذا كانت لها أية حاجة كانت...

– كل ما تحتاج إليه هو الفسحة.

www.elromancia.com

– كان يمكنها إذن أن تمكث بالجامعة. كانت وهي هناك حرة طليقة مثل الهواء.

– "كارين"...

– أعلم. أعلم. لم تصبح طفلة بعد لكنها دائما ما كانت تثق بي فما الذي حدث؟

ضايقها صمت صديقتها. لم تكن صديقتها بأكثر علما منها بالإجابة على هذا السؤال. لم تكن قد فكرت فيها بعد على الأقل.

تنهدت قائلة:

– حسنا إذن. سوف أقضي عطلتي وحيدة.

فقالت "ليزلي" ضاحكة:

– أعتقد أنك ستظلين على قيد الحياة مع ذلك.

أنعشت ضحكتها روح "كارين" التي وعدتها بالاتصال بها ثانية. وما إن أنهت المكالمة حتى تبينت أنها كانت وحيدة بين أربعة جدران الحجرة بلا برنامج تليفزيوني يسترعي انتباهها كما لم يبد الكتاب الذي كان معها مسليا بما يكفي.

أحست بإرهاق طفيف وحاجة إلى الطعام. ما كان ينقصها هو التوجه إلى قاعة الطعام وتناول عشائها حتى إذا ما امتلأت معدتها بالطعام أمكنها الاسترخاء في فراشها حيث تقضي ليلة باردة خاوية.

"كارين".. انتظري" حياة الوحدة على مدى بضعة أيام ليست بالمشكلة الصعبة. كانت قد عرفت الوحدة في حياتها. كانت "بريدجيت" قد قضت عاما كاملا بالجامعة قبل أن تتركها، ولم تأت إلا أثناء عطلة الصيف وعطلة الأعياد والمناسبات الرسمية، وكان الفرق الوحيد أن "كارين" كانت تذهب إلى العمل يوميا بينما لديها الآن كل هذا الوقت لتقتله.

ارتدت ثيابها وتوجهت نحو المصعد. لدى مرورها بحجرة "ماكس" أرادت أن تقرع على بابه تحسبا لان يكون هو أو الصديق الملازم له بحاجة إلى أي شيء لكنها تراجعت في اللحظة الأخيرة فقد قامت بدور الطبيب وبدور الأم الرؤوم بما يكفي في ذلك اليوم خاصة وأنها تقضي عطلة

بالفندق وليست مكلفة بأي عمل هنا.

لم تكن أمسيات فنادق الجبال خاوية كما كان قد قيل لها...

هذا ما توصلت إليه الفتاة بمرورها أمام قاعة المعيشة. تجمع عدد من رواد الفندق حول المدفأة يتناقشون ويضحكون. لم تكن هناك موسيقى صاخبة ولا رقص مثير ولا أية علامة على وجود أي من أنواع اللهو الخليع. كاد ذلك المظهر الهادئ أن يخدعها.

ثم رأت "كارين" الفريق.

التف حول مدفأة أصغر حجما من المدفأة الرئيسية كل من "سكيب" و"آرثر" و"تيري" و"فريد" وكانوا في حالة انسجام تام. كانت معهم امرأتان عابثتان اتخذتا مكانهما فوق أريكة جلدية. رأت "كارين" – على ضوء صيحات الفرح المتعاقبة– أن هاتين الفتاتين كانتا تجيدان فن الفكاهة.

لم تشعر "كارين" بالكثير من الاحترام تجاه ذلك المجلس. واصلت طريقها إلى قاعة الطعام لكنها ما لبثت أن توقفت عن السير لما أدركته من أن الشبان الأربعة أصدقاء "ماكس" كانوا جميعا هنا في حلقة السمر، ولم يكن مع "ماكس" أي واحد منهم. اشتد غضبها فجأة. عادت أدراجها متأهبة لأن تصب عليهم جام غضبها.

عندما اقتربت منهم بادرها أحدهم بقوله:

– أهلا يا سيدتي الصغيرة. تعالي واجلسي معنا. "ليلي" حبيبتي افسحي مكانا بجوارك من أجل...

فقالت:

– "كارين ديفيز".

– نعم. تعالي. تعالي واجلسي.

– واقع الأمر أنني لم آت إلا للاستفسار عن "ماكس". هل لي أن أفترض أنه بخير؟

دقق الشاب النظر إليها بعينين نطقتا بالغباء الشامل ثم حول نظره عنها بعد ذلك إلى الآخرين.

فأجاب الشاب ذو الخمسة عشر عاما مؤكدا:

– نعم. إنه بخير. أعتقد أنك أنت آخر من ذهب لرؤيته يا "سكيب" إنه

www.elromancia.com

بخير. أليس كذلك؟

فقال "سكيب" بينما كان يحك ذقنه وقد بدا شارد النظرات:

– أووه... بلى... إنه بخير. نائم مثل عرق خشبي. أليس كذلك يا "آرثر"؟

– مثل عرق خشبي.

سألت "كارين" مخفية قلقها في نبراتها الرسمية:

– كم كانت الساعة عندما ذهبتم للاطمئنان عليه؟

– أووه... منذ حوالي ساعة.. أو ربما ساعتين.

وكانت الساعة السابعة. يا إلهي.. خمس أو ست ساعات دون أن يطمئن أحد على حالته من حيث ما إذا كان متنبها واعيا أم غير ذلك... بعد إصابته بتلك الصدمة.

– ألا ترون أنه من الواجب أن يذهب أحدكم ليرى ما إذا كان بحاجة إلى أي شيء؟

رفع "آرثر" عينيه نحوها ثم نظر إلى الفتاتين الجالستين فوق الأريكة ثم قال:

– "سكيب" اذهب أنت إليه. اتفقنا يا صديقي؟

– "ليلي" وأنا بدأنا للتو التعارف كل على الآخر. اذهب أنت يا "فريد".

والتصق ذو الخمسة عشر عاما بإحدى فتاتي الأحلام ثم قال:

– بالتأكيد. لكن بعد ما أحضر كأسا من أجل "بولين".

قالت "كارين" بنبرة إصرار أملا في أن تنبه رد فعل ما لدى واحد من الشبان على الأقل:

– كان ينبغي أن يذهب أحدكم للاطمئنان عليه مرة في كل ساعة على الأقل كما تعلمون جيدا. هل ينبغي أن يكون ذلك الشخص أنا؟

نهض "سكيب" على الفور قائلا:

– هذا كرم أخلاق منك بحق. لكن...

ثم ظل يعبث بداخل جيبه بحثا عن شيء ما قبل أن يستطرد:

– لكن ينبغي أن يكون معك مفتاح حجرته.

وقال "فريد" محذرا:

– لأنه لا جدوى من القرع على الباب؛ لأن صديقنا العزيز "ماكس" لا يستفيق بسهولة.

أحست "كارين" بغيظ شديد لكنها سيطرت على أعصابها:

– أرجوكم يا سادة أن تسمحوا لي بالذهاب إلى حجرة صديقكم والاطمئنان على حالته خشية أن يكون قد أصيب بغيبوبة. ولم تكف عن لعنتهم حتى بلغت باب حجرة "ماكس". زاد الصمت التام من غضبها واستبد القلق بها. خفق قلبها بشدة وهي تدخل الحجرة المظلمة.

فتحت مصباح الحمام مهتدية بضوئه الخافت إلى الفراش الكبير.

تجسم جسده أمامها بوضوح من تحت الدثار الخفيف، رقد "ماكس" على أحد جنبيه رافعا ركبتيه، وضاما الوسادة إلى صدره بإحدى ذراعيه. بدا هادئا جدا... ومتصلبا تماما.

اقتربت "كارين" من الفراش بمثل تخوف طالبة بالسنة الأولى بكلية الطب. نادته:

– "ماكس"؟

ثم حررت حلقها وانتظرت قليلا:

– "ماكس"؟

لمست كتفه فوجدت جسده رطبا:

– "ماكس"!

زفر بصوت مرتفع فتنهدت ارتياحا. أخذت تهزه بشدة:

– "ماكس"؟ هل تسمعني؟

سرى ارتعاد في الكتفين القويتين وثني الذراع. استطاعت الفتاة أن ترى مدى صلابة جسده العضلي حتى في ذلك الضوء الخافت. قاومت رغبة شديدة في أن تلمس عضلات ساعده القوية وأن تهزه مرة أخرى.

– "ماكس"... استيقظ.

تحركت الأهداب الكثيفة ثم فتحت العينان وتركزت نظراتهما الزائغة على الفتاة وقبل أن يغمضهما ثانية قال:

– اذهبي عني.

– "ماكس" في أي يوم نحن؟

www.elromancia.com

تمتم بالإجابة الصحيحة دون أن يفتح عينيه:

– هل تعرف من أنا؟

فأجابها بوضوح:

– الساحرة الشريرة.

– إجابة صحيحة تقريبا.

جذبت "كارين" الغطاء إلى ما فوق كتفيه، وتوجهت إلى حجرتها. كان بحاجة إلى بعض العلاج وكذلك وسادة وغطاء إضافي. لم تكن راغبة في أن تفرض وجودها عليه إلا لكي تقوم بعمل الملاك الحارس لذلك الشاب الجميل العنيد.

سوف يموت ويذهب إلى الجحيم. هكذا هبت موجات الأسى برأسه باعثة في كل جسده إشارات الجزع والحزن، ولم يبرحه الغثيان، وكان فمه وحلقه في مثل جفاف بقعة صحراوية. ملعونة كل الخطايا التي استوجبت توقيع مثل هذه العقوبة عليه.

– "ماكس".. "ماكس" افتح عينيك.

ذلك الصوت له رقة وحدة لحن تغنيه إحدى الجنيات... لكن هل من عادة الجنيات تعذيب الناس إلى هذا الحد بعدم الكف عن هز أكتافهم؟

– استيقظ يا "ماكس". هيا بمقدورك أن تفعل ذلك.

حاول أن ينفذ ما أمره الصوت به لكن عينيه رفضتا أن تفتحا. شيء ذكي الرائحة أشبه بزهرة برية نضرة لمس جبينه ثم دلك حاجبيه وجفنيه قبل أن يرتفع بعيدا عن وجهه برقة، ويجعل شعاع ضوء يتسلل إلى عينيه بطريقة ما.

صاح مغمضا عينيه بشدة:

– يا إلهي! هل تحاولين قتلي؟

أجابه صوت أنثوي رقيق شابه القلق:

– لا يا "ماكس". إنني أحاول فقط أن أتأكد من أن الصدمة لم تصبك بأية آثار أخرى غير متوقعة.

استعاد وعيه فأمكنه أخيرا التعرف على صاحبة ذلك الصوت. استطردت "كارين" تقول بذلك الصوت الدافئ الذي كان له وقع مشروب لذيذ

عليه:

– أريد فقط أن أفحص عينك الثانية، ويمكنك أن تنام بعد ذلك.

وضعت يدها فوق جبينه ثانية؛ فأحس بنعومتها وشذاها المنعش وبعد ذلك بشعاع الضوء القوي في عينه.

– لا تحرك رأسك وانظر إلى اليسار.

فسألها "ماكس" مطيعا أمرها:

– إنني في الجحيم.. أليس كذلك؟

– لا يدهشني أنك تعاني مثل هذا الإحساس.

أبعدت مصدر الضوء عن عينيه ثم وضعت أصابعها في شعره وأخذت تحرك رأسه ببطء شديد وبحركة دائرية خفيفة.

أحست بأن رأسه في مثل حجم ثمرة قرع العسل. كان يعاني كل موضع بجسده حتى أسنانه. كانت لمسات "كارين" وحدها هي الشيء غير المؤلم له فقد تحولت الساحرة الشريرة إلى ملاك رحمة.

– هل أنت ممرضة أو شيء من هذا القبيل؟

– شيء من هذا القبيل. كان من الواجب أن تظل بالمستشفى ليلة تحت الملاحظة.

– لا أحب المستشفيات.

عندما حاول الجلوس تنهد من أعماقه بينما قالت "كارين" وكانت قد انتهت من فحصه:

– لا أورام. وليس برأسك سوى تلك الغرز الجراحية حيث فتح حذاء التزحلق فروة الرأس.

– ما الساعة؟

– بعد العاشرة بقليل. نمت طويلا.

– لماذا أنت هنا؟ كنت أظن أن الأصدقاء هم الذين سوف يلازمونني.

أجابته "كارين" بنبرة حادة على النقيض من ذلك الأسلوب المخفف الذي اختارت أن تحدثه به ومن لفتات الحنان التي أحاطته بها:

– الأصدقاء مستغرقون في لهوهم بالطابق الأرضي. التقيت في حياتي برجال أكثر مراعاة للمسؤولية والواجب.

www.elromancia.com

– تم تعيينك إذن لمهمة الإشراف علي؟

– وكيف يتأتى ذلك ولسنا صديقين حميمين بالمعنى المتعارف عليه؟

رفعت عينيها نحوه. انسدل شعرها مثل ستار براق. جمعته خلف إحدى أذنيها.

– إنني طبيبة.

– يا للخسارة!

استدارت عينا "كارين" السوداوان دهشة:

– معذرة؟

– كنت أتمنى ألا أغضبك في نهاية الأمر.

نهضت مسرعة وابتعدت عن الفراش. قالت:

– ساحضر لك بعض الأسبرين. سوف يفيدك بلا شك.

تقلب دافعا عنه أغطية الفراش التي كانت قد انتهت لتوها من ترتيبها.

– لست ميالا جدا إلى تناول العقاقير الطبية ولكنني لن أرفض كأس مشروب صغيراً.

اختلج جسدها لسماع ذلك فقالت بنبرة آمرة:

– يمكنك حذف جميع المشروبات ما عدا الساخنة منها والغازية من قائمة ما تتناوله كلية.

توجد لدي زجاجة صودا لو كنت تفضلها على الماء، ويمكن أن تساعدك على التغلب على الغثيان إذا كنت تعانيه.

توجهت الفتاة إلى الحمام، وأحس "ماكس" وكان رأسه سوف ينفجر. سألها:

– هل يمكنك إعطائي عشرة أقراص من الأسبرين ؟

– سوف أعطيك قرصين الآن ثم نرى مفعولهما في المرة التالية التي أوقظك فيها.

فقال مرددا:

– في المرة القادمة؟

ثم ما لبث أن تلفظ ببعض كلمات السباب؛ لأنه رفع صوته عاليا فازدادت آلام رأسه.

– نعم. سوف أوقظك مرة كل ساعة.

غادرت "كارين" الحمام حاملة كوبا مغلفا بالسيلوفان ومتتبعة بقعة الضوء المثلثة حتى الفراش. بدا ظلها رقيقا فوق قطع الأثاث المتناثرة بالحجرة ووقع قدميها فوق الأرضية الخشبية مثل همس خافت.

فضت غلاف الكوب وسكبت فيه محتويات علبة صودا. أحس "ماكس" باضطراب مفاجئ إزاء وجودها بالحجرة. طبيبة أو غير ذلك..

سبق لها أن أوضحت له بجلاء أنها ليست من نوعيته فلماذا هذا التغيير إذن؟

ولم يعن هذا أن ذلك الوضع قد ضايقه فقد افتتن بها منذ النظرة الأولى لكن الفتور الذي أبدته نحوه جعله يصرف النظر عنها، وكان هذا التغيير الجديد مثيرا لقلقه خاصة في هذا الوقت الذي تعرض ذهنه فيه إلى تلك المحنة القاسية.

قالت "كارين" مبتسمة له بينما قدمت إليه القرصين:

– هاك. من المؤكد أنهما سوف يخففان عنك قدرا من الألم.

رفع "ماكس" نفسه بحذر فانزلقت الأغطية من فوقه كاشفة عن صدره العاري.

– لون أزرق جميل هذا الذي بك.

تبع نظرة الفتاة فاكتشف الكدمة الزرقاء التي كانت بجنبه الأيسر.

– يا إلهي! بدلا من أن تبدي إعجابها بعضلاته تبدي اهتمامها بجراحه وكدماته. عندما رفع بصره نحوها رآها تنظر إلى منطقة أخرى منه.

– ماذا؟ كدمة زرقاء أخرى؟

فاجابته "كارين" مسرعة:

– لا. لا شيء. الأسبرين؟

أخذ "ماكس" القرصين ثم أحس بقشعريرة تسري في جسده. ترى إلى أية منطقة كانت تنظر؟ أعاد الأغطية إلى موضعها الأول فكانت قد انزلقت إلى حد كشف عن أنه قد نام عاريا تماما.

– أريد أولا أن أرطب حلقي.

قربت الكوب من فمه فرشف قدرا منه.

www.elromancia.com

– آه... هكذا أفضل بكثير.

ثم ربت على بطنه ولم يزل مركزا بصره عليها. لكن نظرات "كارين" كانت محايدة عادية. قال:

– من الأمور التي لا تصدق أنه من الممكن أن تكون للجسد احتياجات أخرى.. ألا توافقينني على هذا الرأي؟

– ما تقوله هذا هو أحد الجوانب التي تشعرني بالرضا في مجال الطب. قدرة الجسد الهائلة على الاستشفاء. أسلوبه هذا في التعبير عن احتياجاته.

– إنك طبيبة بحق.

قال محدثا نفسه: "نعم، كانت لها تلك النوعية من القوة التي تشهرها الفتيات الطموحات مثل درع".

– ألا تصدقني؟

– آه.. كان ينبغي أن يدخل هذا من أذن ويخرج من الأخرى.

فقالت "كارين" مبتسمة:

– ربما كان من الواجب أن أرتدي معطفي الأبيض وأحمل سماعتي.

تسلل إلى ذهن "ماكس" مشهد السماعة المعدنية الباردة معلقة فوق صدر "كارين" الدافئ فأصابه باضطراب لحظي.

– لابد أنني لست بحالة تسمح باستيعاب المعلومات.

– ولست بعد بحالة أقرب إلى حالتك الطبيعية. تناول قرصي الأسبرين إذن وسوف أتركك تنام ثانية.

انتظرت حتى تناول الأسبرين ثم أعادت الكوب إلى المنضدة المجاورة للفراش وأطفأت المصباح..

– استلق في الفراش ودثر نفسك جيدا حتى لا تصاب بنزلة برد بالإضافة إلى هذه الإصابات.

– لا أشعر بالبرد ولا بالرغبة في النوم لكن يمكنك أن تعودي إلى حجرتك. وسوف أتغلب على هذه الآلام؛ لأنني واثق على الأقل بأن أحدا لم يمت من قبل بسبب آلام طفيفة بالرأس.

– الحالة أخطر من ذلك يا "ماكس"؛ لأنك تعاني ارتجاج المخ مع جرح قطعي عميق تطلب سرعة حياكته. إنك بحاجة إلى ملاحظة دقيقة على

مدى بضع ساعات قادمة. وما كان ينبغي قط أن تترك بمفردك على مدى فترة بعد ظهيرة اليوم.

– آه لا بأس. وعلى أية حال لست المسؤولة عما فعله أصدقائي بي.

أحست بقدر من الهدوء عندما سمعته يقول ذلك. توقفت عند النافذة.

– هذا صحيح تماما لكنني كنت على علم تام بحالتك. أما هم فلا يمكنهم تقدير مدى خطورتها.

فتحت الستارة بقدر طفيف فتسرب قدر ضئيل من ضوء القمر إلى داخل الحجرة مضيفا على شعرها بريقا فضيا.

قال مذكرا إياها:

– حياتي لا تهمك.

فضحكت "كارين" قائلة:

– حقيقة؟ منذ متى؟

الفصل الثالث

حسنا ولو سلمنا باننا لم نتعارف إلا اليوم فهذا يعني اثنين وثلاثين عاما وبضعة كسور.

ابتعدت "كارين" عن النافذة متمنية أن يخفي الظلام اضطرابها يا إلهي! لما لهذا الرجل من أثر عليها سرت في جسدها نبضات عصبية متتالية فتراوحت ما بين الجمال والتوتر الشديد.

قال "ماكس" مستطردا":

– لهذا السبب أقدر كل الجهد الذي تبذلينه من أجلي، والمتاعب التي تتكبدينها للسهر علي. لانني واثق بانك لم تقطعي كل هذه المسافة وتقومي بهذه الرحلة حتى تأتي إلى هنا لتمريضي.

– لا تلم نفسك على ذلك. ليس لدي الآن شيء أفضل من هذا أقوم به.

– من المؤكد أن يكون لديك كان تخرجي مع بعض الأصدقاء أو تستغرقي في قراءة كتاب. أي شيء كهذا سيكون أفضل من أن تظلي قريبة مني حتى يمكنك إيقاظي كل ساعة تنقضي.

– الكتاب الذي أحضرته معي لم يثر في أي قدر من الاهتمام. وليس لي هنا أصدقاء أخرج معهم؛ وبذلك ستعفيني بلا شك من ليلة طويلة مملة.

فقال بينما كان يحاول ترتيب أغطية الفراش:

– إنك تمزحين. هل جئت إلى هنا بمفردك؟

– بصفة مؤقتة. وقع لصديقتي ظرف عارض.

اقتربت من الفراش مرة أخرى غير قادرة على أن تمنع نفسها من مساعدته:

– انحن قليلا نحو الأمام وسوف أعيدها إلى ما كانت عليه.

كانت تلك الأغطية قد استمدت دفء "ماكس"؛ لهذا عندما تركتها يدا "كارين" أحست الفتاة بان شيئا ما قد انبعث من ذلك الكيان الرجولي الذي كاد أن يربك مشاعرها.

أعادت الوسائد إلى موضعها مسرعة. لم يثر واحد من بين جميع مرضاها فيها أي إحساس سوى الإشفاق والعطف بينما أنها تتصرف الآن مثل فتاة

بالسنة النهائية بكلية الطب توقع –مرتعدة– الكشف على أول مرضاها من الرجال.

قال "ماكس" وهو يرقد على ظهره ثانية:

– أشكرك. هل تفعلين ذلك من أجل جميع مرضاك؟

وكانت ابتسامته منطوية على معنى غير بريء فقالت:

– لا اعتبرك كأحد المرضى.

– نعم. هذا صحيح لأنني مشكلة.

حدثت "كارين" نفسها في صمت: باكثر مما يتصور خلبها بريق عينيه المناغش الذي جعلهما تبدوان وكأنهما تدعوانها إلى الانضمام إليه، وكان ليس هناك شيء خطير لا يمكن لقدر من التسلية والمتعة شفاؤه كلية.

ابتسم لها على نحو مغو قائلا:

– ما رأيك في مباراة ودية في لعب الورق؟

– لا باس بشرط ألا تكون متعبة لك.

– هائل. أحضري الورق من حقيبتي بخزانة الملابس.

– تعني أن نلعب الآن؟

– نعم. تعرفين كيف تلعبين. أليس كذلك؟

– أووه... نعم. كنت أعرف بعض لعبها لكن كان ذلك منذ فترة طويلة.

– هائل. أحب الكسب السهل.

فقالت "كارين" رافعة أحد حاجبيها:

– لم أقل إنه سيكون سهلا.

– من الأفضل أيضا لا ضرر في التغلب على لاعبة مبتدئة.

– هل تغش؟

– عندما أتوقع الخسارة فحسب.

ابتسمت إزاء صراحته.

– تلعب من أجل الكسب أليس كذلك؟

– عزيزتي.. إنه الهدف الوحيد للعب.

هزت "كارين" رأسها. كانت موشكة أن تتوجه إلى الخزانة وتحضر أوراق

www.elromancia.com

اللعب عندما رأته يلوي وجهه بمثل الألم.

– هل أنت واثق بانك بحالة تسمح لك باللعب؟

فقال مؤكدا بابتسامة غامضة:

– بكل تاكيد. وبمجرد أن أراك حالة عاجلة...

– دعني أساعدك.

امتدت يد "ماكس" وقبضت على ذراع الفتاة حتى يمنعها بلطف لكن بحزم من أن ترفع أغطية الفراش عنه.

– يمكنني أن أتصرف.

فهمت من نظرات عينيه أنه رأى أنه من غير اللائق أن يطلعها على أجزاء معينة من جسده.

– إنني طبيبة يا "ماكس" وعادة ما أرى مثل هذه الأشياء.

– ربما لكن ليس بي.

– الأمر متساو بالنسبة للجميع...

– لا تقولي ذلك.

– إنه الواقع مع كل ذلك.

فقال وعيناه تنطقان بمعاني العجرفة:

– ليس بالضرورة.

الحت على "كارين" رغبة في أن تضحك لكنها كبحتها على الفور.

– حسنا جدا يا "ماكس" سوف أدير لك ظهري.

ترك ذراعها واستدارت فذهب إلى الحمام مدثرا بأحد أغطية الفراش. وعندما سمعت قفل الباب يغلق بدأت ترتب أغطية الفراش استعدادا لعودته إليه. الرجال جميعا سواء! لديهم حساسية غريبة فيما يتعلق بتركيبهم الجسماني يحبون من الفتيات أن يلاحظنه إذا لم يكن لديهن اهتمام به ويتعمدون إخفاءه إذا ما كان لا يسبب لهن إزعاجا.

– "كارين"!

أسرعت إليه على أثر سماع صوته وقرعت باب الحمام ثم بدأت تفتحه بتأن تحسبا لأن يرتطم بأنفه. كان "ماكس" قابضا على حافته ينظر إليها من خلال الفتحة الضيقة.

– ماذا حدث؟

أجابها ضاغطا بجبينه على الباب قبل أن يلتقط شهيقا عميقا:

– لا شيء. هذا الرأس. ينبغي أن أفكر في طريقة تمكنني من اتقاء آلامه. أعتقد أن أهم ما يجب مراعاته هو عدم التحدث بصوت عال وبعد ذلك سيكون كل شيء على خير ما يرام.

اتسم إشفاق "كارين" برقيق المشاعر تجاهه؛ فقد ذكرتها هذه الحالة بحالة والدها... مع فارق مهم هو أن "ماكس" لم يكن مدمنا للمشروبات المحتوية على الكحول بل كان مصابا وبذلك لم تجد أي وجه من الشبه بينهما.

قال مستطردا بنبرة هادئة:

– هلا تفضلت بإحضار بنطلون چينزلي؟

– أرى أنه من الواجب أن تنسى فكرة اللعب وتعود إلى الفراش.

– لا نريد أن ننسى فكرة اللعب. ولا نريد أن نعود إلى الفراش لأننا لا نشعر برغبة في أن ننام.

– لكننا متعبون. ألسنا كذلك؟

ففاجأها بقوله:

– احضري لي البنطلون.. من فضلك.

– حسنا لكن بشرط: أن تعدني بأن تخبرني بمجرد أن تشعر بأي تعب.

– أعدك.

– وإذا استمر الصداع الذي تعاني منه ينبغي أن تستلقي فوق الفراش وتفحص عينيك.

– اتفقنا.

– وإذا حدث أن...

– هل تسمحين بأن تحضري لي البنطلون وحسب؟

– حالا.

– شكرا.

– عفوا. ولا أريدك أن تغش في اللعب.

قال "ماكس" معلنا:

www.elromancia.com

– لقد ربحت.

– غششت؛ لانه من غير الممكن ان تكسب بشرف في اربعة أدوار متتالية.

– لم ألجأ إلى الغش يا "كارين"؛ لان خبرتك تقدر بصفر.

– معذرة؟

– لا خبرة لك بلعب الورق. والآن ادفعي.

فاجابته معترضة:

– ليس لديك أدنى قدر من الإحساس بالشرف. إنها آخر علب ثقابي.

فاجابها بنهم:

– هل هذه ثقابك أم إنها رهن منزلك يا عزيزتي. من المؤكد على الأقل أنك لا ترغبين في إعادة النظر في عرضي.

قالت "كارين" رافعة عينيها نحو السماء:

– هيا. وزع.

أمسك بالورق وأخذ يرتبه بمهارة. قالت:

– لابد أنك تلعب الورق كثيرا.

– ليس دائما.

وتكذيبا لقوله الاخير هذا تعاملت يداه مع الورق بأسلوب المحترف. يدان قويتان رأت الفتاة أنهما قد جبلتا لكي ترفعا مطرقة أو من أجل جميع أنواع الأعمال التي تتطلب تدخل العضلات ومشاركتها بدءا من عضلات الكتف وحتى عضلات الأصابع.

سألته:

– ما هو نوع العمل الذي تشتغل به؟

– الغش في لعب الورق ليس مهنتي لو كان هذا ما تريدين الوصول إليه.

– لا. كنت أسأل عما إذا كنت تعمل في المعمار أو في شيء من هذا القبيل.

– إطلاقا.

كانت تقسم أن فم "ماكس" بدا متشنجا إزاء هذا السؤال.

– هل أنت واثق بذلك؟

– صدقيني يا عزيزتي. وأقوم بأقل قدر ممكن من العمل اليدوي منذ فترة من الزمن؛ فقد استوفيت نصيبي عندما كنت صبيا.

– ماذا تعني؟

– نقل المناضد واستعمال المكانس الكهربائية. ذلك النوع من العمل الذي يشغل الصبي ويجنبه الملل.

– والآن؟ لابد أنك رياضي؟

– عندما أرى ذلك فقط.

انتظرت "كارين" أن تسمع منه المزيد لكنه واصل التعامل مع أوراق اللعب ومع ذلك كانت "كارين" واثقة من أن مثل هذا الجسد العضلي لا يكتسب بالجلوس من خلف مكتب. لماذا لا يعترف بأنه يتبع تدريبا رياضيا منتظما؟ لا حرج في ذلك بل على العكس؛ لأن الحالة الجسدية الجيدة تعتبر دواء وقائيا متميزا.

– اسمعني. إذا كنت لا تريد أن تتحدث عن العمل الذي تقوم به فهذا شأنك وسؤالي كان مرجعه الفضول الخالص من جانبي.

– لا بأس.

خفض "ماكس" بصره إلى الأوراق محاولا ألا يبتسم. والفضول الخالص أيضا هو الذي جعلها تلتهم صدره وكتفيه القويتين بلا شك بنظراتها منذ لحظة أن بدأت تلعب معه، وكان ذلك مناسبا له جدا... أن تتحقق بنفسها من قوته البدنية.

سألها بنبرة هادئة:

– هل لعبت "البوكر" من قبل؟

– لا.

بدا قدر من الاضطراب في عيني "كارين" وعلى الفور تراقصت بمقلتيها السوداوين تلك الانكسارات الخضراء الدقيقة. كان وقد لاحظ هذه الظاهرة في كل مرة تعرضت الفتاة فيها إلى القلق لسبب أو لآخر.

سألها بنبرة بريئة:

– تحبين أن أعلمك إياه؟

– ليس بالضرورة.

www.elromancia.com

فقال "ماكس" بإصرار:

– هيا. كوني رحيمة بي.

– أرى أن الوقت قد حان لكي تستريح.

– نمت طوال اليوم ولست بحاجة إلى أن أنام ثانية. لكن يا إلهي! إنني آسف يا "كارين". أراهن على أنك لم يمكنك أن تنامي قط!

عاد إلى عينيها السوداوين بريقهما الجميل. قالت مبتسمة:

– واقع الأمر أنني لا أشعر بأي تعب فقد نمت قليلا وقت القيلولة. والحال هذه!

وضرب المنضدة بقبضته... فدوى الصوت وكأنه انفجار بداخل رأسه. استطرد يقول محاولا إخفاء تعبيرات آلامه تحت ستار ابتسامة عذبة:

– هل يعني هذا أن نواصل اللعب؟

– لا أدري بحق يا "ماكس" إنني...

– ستستولي هذه اللعبة على اهتمامك. أعدك بذلك.

عندما رآها تنحني نحو الأمام فوق مقعدها تصور "ماكس" أن "كارين" لم تكن ممانعة تماما في أن تلعب. رأى أن تعبيرها عن الموافقة بطيء لكنه لابد أن يأتي. فقد بدأ يعرفها جيدا.

– ليس هناك ما يضطرنا إلى اللعب طويلا... بل حتى يكتفي أحدنا به.

– حسنا. موافق.

ثم قال مؤكدا:

– سوف نبدأ بطريقة الورقات الخمس فهي الأسهل.

وقبل أن يبدأ في التوزيع تذكر حاجته إلى قبعته الشبيهة بحافة الخوذة فقال بإلحاح:

– قبعتي.. أريد قبعتي.. ينبغي أن تكون معي، وأريد الزهر أيضا. آه للأسف. أخذ "فريد" الزهر معه إلى حجرته، يمكننا الاستعاضة عنه بأعواد الثقاب لكن لا غنى لي عن قبعتي.

تنهدت "كارين" قائلة:

– سوف أبحث لك عنها.

– أشكرك يا عزيزتي. إنك طيبة جدا.

دهش لما تبينه من أنه قد صدق القول.

أشار "ماكس" إلى حيث كانت حقيبة السفر ورآها تتحرك برشاقة نادرة. شاهد قوامها الممشوق ذا الخطوط الانسيابية والانحناءات الرقيقة من تحت قميصها الواسع وبنطلونها. يا إلهي! لو أنها تعلم إلى أين شردت روحه...

أخرجت "كارين" غطاء بسيبول قديم زينت مقدمته كلمة "الملعب" قائلة:

– من المستحيل أن يكون هذا ما تريده:

– نعم. إنه هو.

فقالت وهي تعود إلى مقعدها.

– لا يمكنك ارتداؤه مع ذلك. لأنه مثير للقرف.

– أعلم أنه بال قليلا لكن لا يمكنني أن ألعب "البوكر" بدونه.

– ليس هذا ما أعنيه بالتحديد. ما أود أن أؤكده لك أنه من المستحيل أن تضع هذا على رأسك؛ لأن ذلك قد يعرضك إلى تلويث الجرح بهذه الـ..

– هذه البقع؟ إنها به منذ بضع سنوات يا "كارين" لكن غطاء الرأس نظيف جدا. يذهب إلى الغسيل مرة واحدة على الأقل شهريا.

– لكنه قد يلهب الغرز الجراحية التي برأسك.

– إنني على استعداد لتحمل المخاطرة.

أخذ غطاء الرأس من يدها ووضعه فوق رأسه ثم ضغط عليه بشدة:

– آي!

وطار الغطاء بعيدا وألقى صاحبه بعدد من ألفاظ السباب على مسمع "كارين" التي سألته بأدب شديد:

– هل سبب لك هذا ألما؟

– وأي ألم.. إنه أشبه... تسخرين مني؟

– أنا؟ مستحيل. مهنتي تحتم علي تخفيف الآلام لا الابتهاج بها.

رمقها بنظرة شك بينما استطردت تقول:

– ويجب ألا تنسى أنني قد حذرتك من ارتداء هذا الشيء.

– إنه غطاء الرأس جلب الحظ ولا يمكنني لعب "البوكر" بدونه.

www.elromancia.com

– على أية حال أخشى من أنه لن يمكننا أن نلعب الآن.

ثم استندت إلى الخلف فوق مقعدها مصالبة ذراعيها فوق صدرها.

– يمكننا أن نلعب.

– بدون غطاء رأسك جالب الحظ من الممكن جدا أن أكون الرابحة.

فقال "ماكس" بنبرة تصميم:

– سوف نلعب.

– هل أنت واثق؟

– اسمعيني جيدا يا طبيبة. هذه هي قواعد اللعبة...

بعد ساعة من الزمان أصبحت "كارين" هي المتقدمة في اللعبة برشاقة ومرح نظرت إلى نصيب "ماكس" من أعواد الثقاب الذي تناقص إلى حد كبير وتنهدت ارتياحا. كانت المباراة سلسة تستحوذ على الاهتمام لكن "كارين" خشيت أن تصرح بذلك.

كانت "كارين" تدرس ورقها محاولة ألا تقطب حاجبيها. ورقتان فئة الثلاثة، وورقتان فئة الثمانية، وورقة واحدة فئة العشرة. لم تقل أي شيء. تاملت وجه "ماكس" بارتياب، هل كان يخدعها أم أنه كان خاسرا بحق؟

كان قد راهن على سبعة أعواد ثقاب. خفق قلبها وهي تشاهد ما كان قد تبقى له. ثلاثون عودا. لكن وقبل كل شيء لم يكن ذلك إلا لعبا. عدت منها سبعة إضافة إلى أربعة ثم قالت بهدوء:

– وأربعة لك.

نظر "ماكس" إليها طويلا وكان متوتر الأعصاب:

– تخدعين.

– وسيلتي الوحيدة لمعرفة ذلك يا "ماكس".

تامل أعواد الثقاب الخمسة عشر المتبقية له ثم قال:

– اكشفي.

فصاحت وهي تضع ورقها فوق المنضدة:

– أيها الغار!

فقال وهو يشير بيده إلى كم الأوراق:

– إذا كنت غير قادرة على مواصلة اللعب يا عزيزتي فلا باس من أن

تنسحبي.

– دقيقة واحدة. لنلق نظرة على ورقك.

– هيا يا "كارين". ستصبحين مملة.

فقالت بإصرار كابحة تمتمة ابتهاج:

– اكشف يا "أوكونر".

مد الرجل يده كاشفا عن ورقه وهو يبتسم: ورقتان فئة العشرة و... لا شيء آخر! لم تتوصل "كارين" إلى ما كانت تريده! خدعت بينما كانت تتصور أنها هي التي استطاعت الخداع!

جمعت أوراق اللعب وهي تضحك سعيدة بانتصارها:

– يا لك من أحمق! وهل كنت تعتقد أنني أسمح لك بالانسحاب هكذا؟

– لا. كان ذلك دورا تجريبيا.

– إنك غشاش حقا. هل تعلم ذلك؟

– أنا؟

ضحكت أمام تعبيرات وجهه التي نطقت بالألم إزاء هذا الاتهام وقال "ماكس" معترضا:

– لم يكن ذلك غشا بحق كان مجرد اختبار لكفاءتك.

بدا حديثه بطيئا وتوقعت "كارين من أسلوب خفض كتفيه أنه كان متعبا.

– حسنا يا "ماكس". هذا يكفيني الآن.

– لا يمكنك أن تتركيني هكذا. لقد بدأ حظي يظهر.

– سبق لنا أن اتفقنا يا "ماكس" على وقف اللعب بمجرد أن يكتفي أحدنا منه...

– نلعب شوطا صغيرا آخر.

– ليس في هذه الليلة.

لم تبتعد بمقدار خطوتين حينما أمسكت يد "ماكس" بذراعها وارتجفت عندما أحست بدفء تلامسها معه.

– إلى أين أنت ذاهبة يا طبيبة؟

www.elromancia.com

– إلى حجرتي.
– لكن آلاتك الطبية هنا.
– آه.. نعم. سوف آخذها و...
– لماذا لا تبقين معي؟
رأت "كارين" أن ذلك العرض لم يكن مناسبا.
– لا ترضين أن أسير معك في هذا الممر المظلم الطويل، وأن أعود كل هذه المسافة بمفردي لأستلقي منهك القوى على الفراش...
– حجرتي مجاورة لحجرتك تماما ولست بحاجة إلى من يسير معي إليها.
– لا. لا. إنني رجل مهذب جدا بحيث لا أسمح بأن أتركك تعودين بمفردك.
– "ماكس"...
سألها معاتبا وقد نطقت نظراته بالرجاء:
– من الذي سيعتني بي إذا ما تركتني؟
ومرة أخرى لمس وترا حساسا فيها.
– لا بأس. إنني مرحبة تماما بأن أكون جليسة لك حتى الصباح.
– وعلى من يستيقظ أولا أن يحضر الفطور.
– ولماذا لا يكون ذلك على من يستيقظ أخيرا؟
فأجاب "ماكس" متوجها إلى فراشه:
– لا. لأنني أتوقع أن أنام حتى ساعة متأخرة.
– سوف تبدأ الغش من جديد.
ابتسم لها من فوق كتفه.
قال بلهجة آمرة عندما امتدت يده إلى أزرار بنطلونه كي يحلها:
– أغمضي عينيك يا عزيزتي. أعلم بأنك تحلمين بأن تلقي نظرة على ما أريد إخفاءه عنك بسبب عدم إحساسي بأنني في أحسن حالاتي في هذا المساء.

الفصل الرابع

حاول "ماكس" أن ينام. بذل في سبيل ذلك كافة المحاولات الممكنة. أغمض عينيه وأخذ يتنفس بشكل منتظم مصمما على الاهتداء إلى النوم لكنه على الرغم من تلك الجهود وعلى الرغم من تعبه الحقيقي لم تكف أفكاره عن الشرود بعيدا. "كارين ديفيز". الطبيبة "كارين ديفيز". ذلك الصوت الحاني، وتلك العينان السوداوان المعبرتان، وذلك الفم الجميل... هل هي نائمة؟ هل تتساءل عما إذا كان نائما؟ هل من المقدر لهما أن يجمعهما ذات يوم فراش واحد؟
ارتفع جفناه من تلقاء نفسيهما، واعتاد بصره على الظلام شيئا فشيئا. وبدأ يرى بعض الأشياء بقدر من الوضوح. تعرف على الأريكة لكن لم يمكنه تحديد محيط الفتاة التي كانت فوقها. أنصت ولم يسمع شيئا غير ذلك الصمت التام.
تقلب "ماكس" ثم كز على أسنانه وتنهد بعد ذلك.
– متألم؟
وبأي فرح تلقى صوت "كارين" الحريري.
– رأسي يؤلمني قليلا.
– يمكنني أن أحضر لك بعض الأسبرين.
أجابها وهو يتقلب ليرقد على جنبه واضعا ذلك الجانب غير المصاب من رأسه في راحة يده:
– الألم محتمل وما كنت لألتفت إليه لولا أن شخيرك حال دون أن أنام.
قالت "كارين" معترضة بنبرة استغراب:
– لكنني لا أشخر.
– نعم. بزفرات طويلة مدوية.
رجح من خلال حفيف الأغطية أنها كانت جالسة قالت:
– من المستحيل أن يكون قد انطلق عني أي شخير؛ لأنني لم استغرق في النوم بعد.

www.elromancia.com

فقال "ماكس" مبتسما:

– أنت واثقة بذلك؟

– تمام الثقة.

عرضت ابتسامته. هكذا لا تكون هي أيضا قد عرفت إلى النوم سبيلا. ربما كانت تفكر فيه... كما كان هو يفكر فيها؟

– ولم أتمكن أنا أيضا من النوم. أحس بالقلق.

– في جميع الأحوال لن نلعب الورق ثانية.

– لم أكن أفكر في لعب الورق.

– ماذا؟

رأى "ماكس" أنه من الأفضل ألا يخبرها بما كان يفكر فيه.

– كنت أتساءل فقط هل كنت جيدة بحق؟

قالت "كارين" بنبرة ارتياب:

– جيدة؟ في أي من المجالات؟ لو كنت قد تساءلت عن كفاءتي في مهنتي كطبيبة...

– إطلاقا يا سيدتي. بل يمكنني أن أؤكد لك أنك طبيبة لم أعرف لها نظيرا. كنت أتساءل بالتحديد عما يتعلق باليوم...

اليوم.. اليوم.. والآن أي هراء يمكنه أن يخترعه... هكذا ظل يتساءل في صمت متخبطا في هذا الحوار الذي بدأه.

– إنني... همم... كنت أتساءل... هل كنت تجيدين التزحلق بحق؟

سمع حفيف الدثار مرة أخرى فوق الأريكة.

– باستخدام مصطلحاتك أنا صفر. بدأت اليوم. وواقع الأمر أن هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أحضر إلى الجبل.

– عظيم. أليس كذلك؟

– بلى. هائل ومثير للإعجاب.

تمتم "ماكس". "كارين ديفيز" القنبلة تعجب؟ من الصعب أن يصدق.

– بعد يوم آخر أو يومين وسوف تعتادين على هذه الرياضة وتشعرين وكأنك في بيتك.

– كما فعلت أنت اليوم؟

فقال وقد اتجه تفكيره إلى تفاصيل قوام "كارين" الجميل:

– لم يكن ما حدث بسبب خطأ مني. أؤكد لك ذلك. فأنا ملك الثلوج. كان سماعه صوتها هو الذي وضعه في تلك الحالة من التفكير.. قال:

– وهذا ما سوف تصبحينه أيضا.

أضاء المصباح القريب من الأريكة وفحصته "كارين" عن بعد. سألته:

– هل تشعر بأنك على وشك أن تصاب بنوبة برد؟ بصوتك نبرة غريبة.

لوى "ماكس" وجهه متضررا من الضوء الساطع الساقط عليه. زاد مشهد الفتاة الجالسة فوق الأريكة بشعرها المشعث وملابسها المفضضة من رغبته. حرر حلقه.

– همم. مجرد احتقان طفيف بحلقي. هل يمكنك إطفاء الضوء من فضلك؟ فهو يفقدني القدرة على الرؤية تماما.

سمع صوت المفتاح الكهربائي وعاد الظلام:

– هل أنت واثق بأنك بخير؟

– بخير تماما كما أكون في حالتي المعتادة.

– هل تعتقد بحق أنني سوف أتمكن من أن أتعلم التزحلق في خلال بضعة أيام فقط.

دهش أن سمع في صوتها نبرة الارتياب المفعمة بالأمل. إلى أين ذهب فتورها؟

– عزيزتي سيبدو لك الأمر وكأنك قد ولدت وحذاء التزحلق في قدميك.

– ما الذي يجعلك تعتقد ذلك؟

– لك كل ما يلزم هذه الرياضة: الشكل العام، والرشاقة والدماغ هذا فضلا عن أنك تتمتعين بصحة جيدة. ناهيك عن أنك في حالة صحية مبهرة...

– كيف عرفت ذلك؟

– لي عينان يا عزيزتي. وهذا لا يحتاج إلى أكثر من رؤيتك في قميص وبنطلون...

www.elromancia.com

فقاطعته "كارين" وهي تدفع بالغطاء بعيدا عنها لما أحسته من حرارة مفاجئة تسري في جسدها بينما امتقعت وجنتاها:

– ليس لهذا أي دخل يذكر.

قال:

– ولك دماغ أيضا.

– ما الذي تعنيه بكلمة دماغ؟

– أنت طبيبة. ألست كذلك؟

قالت مؤكدة وقد اتسعت عيناها دهشة:

– هذا ما تؤكده شهاداتي الدراسية.

– حسنا يا عزيزتي. ليس مخيلتك الجميل هو الذي أعطاك تلك الشهادات، ويمكنني المراهنة أيضا أنه كان نبوغا أكثر منه مساعدة عندما كنت تتنافسين مع أقرانك من أجل الحصول على تلك الشهادة. لابد أن والدك كان على الأقل رئيسا للجامعة أو شيئا من هذا القبيل. مثل هذه الظروف هي التي تيسر الأمور.

ابتسمت عندما تصورت والدها– ذلك السكير المترنح– رئيسا للجامعة أو عميدا لكلية الطب... كان الأمر يدعو إلى الأسى أكثر منه إلى الغرابة.

– لم يكن والدي رئيسا لأي شيء كان.

– وبذلك يكون هذا الإنجاز بمجهودك الشخصي، وهذا ما يتطلب وجود دماغ.

أحست "كارين" بشيء مبهج دافئ يستقر في صدرها. كان محقا فيما قال؛ فلم يمهد طريقها أحد، ولم يحاول أحد أن ييسر لها الحياة. وكانت معرفة "ماكس" بأن ذلك لابد أن يكون قد كلفها أياما وليالي من الجهد والعرق بمثابة بلسم لقلبها طالما طالت حاجتها إليه دون أن تدري، وقد رفعت مجاملته هذه روحها المعنوية بعد تلك الأشهر الأخيرة من الارتياب.

قالت مرددة إمعانا في تذوق تلك الكلمة وقعا ومفهوما:

– دماغ. لم أر ذلك من هذه الزاوية قط.

– لم تمر تلك الدراسة مع ذلك وكأنها نزهة ممتعة؟

– لا بالتأكيد. لكن أن أصبح طبيبة كان هدفا واجب التحقيق.

– واجب التحقيق؟ وجهة نظر جديرة بالاهتمام.

صر الفراش من تحت "ماكس" وتخيلته "كارين" جاذبا الأغطية فوق كتفيه العاريتين القويتين.

أضفى حفيف الأغطية على الليل جوا من الود والدفء أحست معه بأنها أكثر قربا من "ماكس" ومن نفسها؛ مما ساعدها على التخلص من قدر من عبئها النفسي.

استطرد يقول:

– ما سبب ذلك الوجوب؟ يمكنني أن أتفهم أنك عندما كنت طفلة كنت تتمنين أن تصبحي طبيبة عندما تكبرين لكن هذا مختلف جدا عن وجوب تحقيق هذا الهدف. يبدو هذا التعبير لي مبالغا فيه ألا ترين ذلك؟

لم يكن مبالغا فيه؛ إذ لم يكن حتى متساويا مع رغبتها في التخلص من ذلك الوحل الذي تحولت حياتها إليه في تلك الآونة ولا مع حاجتها إلى أن تصبح شيئا آخر غير فارة "چولي ديفيز" ومع ذلك لم يكن بوسعها أن تأتمن أحدا على مثل هذا السر وإن كان "ماكس" ذلك الرجل المتفهم؛ لهذا اكتفت بأن تقول:

– كنت على علم تام بأنني لم أكن راغبة في أن أكون فقيرة.

واكتفى "ماكس" بأن يكون الصمت تعليقه على ما سمعه...

استطردت قائلة:

– كنت أرغب في أن أوفر لنفسي الاستقرار... وضعا يمكنني أن أقول عنه إنني عندما أحققه تكون لي حياة أفضل.

فقال "ماكس" متمتما:

– جميعنا يصبو إلى الأفضل، وجميعنا بحاجة إليه، ونبذل شتى المحاولات في هذا السبيل لكن لماذا لم تختاري سبيلا أكثر سرعة وسهولة؟

ضحكت قبل أن تجيبه بقولها:

– بدأ ذلك عندما كنت في المدرسة بحصولي على الدرجات المرتفعة. كنت أقول لنفسي إن حياتي سوف تتغير كما بفعل السحر إذا ما توصلت إلى أن أكون أفضل طالبة. ثم بمساعدة والدتي باعمال البيت وتنظيف كل ما به بحيث يبدو مثل الجديد عندما كانت تذهب إلى العمل، ومساعدتها

www.elromancia.com

أيضا في العناية بشقيقتي الصغرى، وكنت أجهل حتى يوم وفاة والدتي برغبتي في أن أكون طبيبة، وعندما فكرت في الأمر مليا تبينت أنها لم تكن رغبة بقدر ما كانت حاجة.

– بسبب والدتك؟

– كنت أكره رؤيتها وهي تعاني. من الممكن لآلام السرطان أن تكون مبرحة، وظللت أتمنى لو أنني كنت أعرف كيف أعالجها أو أخفف من آلامها على الأقل.

سألها "ماكس" بنبرة حانية:

– كم كان عمرك عندما توفيت؟

– ثلاثة عشر عاما.

ارتجفت "كارين" لكنها سرعان ما أبعدت عن ذهنها ذكرى تلك السنوات المخيفة؛ فقد أصبح كل شيء يجري الآن على خير ما يرام... باستثناء مشكلة "بريدجيت".

قال "ماكس" مرددا:

– ثلاثة عشر عاما.. سن صعبة لفقد أحد الوالدين.

صعبة.. نعم.. صعبة للغاية. بدون أم وبدون أب تقريبا... كانت من الممكن أن تتعرض للضياع لولا إحساسها بانه كان واجبا عليها أن تعتني بشقيقتها الصغرى.

– وكانت هذه الظروف أكثر قسوة على شقيقتي. كانت في السادسة من عمرها. لازلت أذكر تعبيرات وجهها عندما كنت أحاول أن أقول لها إن والدتي لن تعود إلى البيت ثانية. كانت خائفة إلى حد مزعج، ولم يمكنها أن تفهم ما كنت أقوله لها.

– أتصور أنها كانت مهمة ماسوية بالنسبة إليك.

– نعم. لكنني كنت متفهمة ما هو الموت على الأقل بينما أن طفلة في السادسة...

– ومع ذلك كنت قد بدأت سني المراهقة.

– لا أعتقد أنني عرفت حياة المراهقة قط؛ لأنني قضيت تلك الفترة أتصرف مثل فتاة بالغة قبل أن أصل إلى السن الحقيقية للبلوغ. لا شيء في

الوجود يجعل الفتاة تنضج بسرعة كبيرة مثل اضطرارها إلى أن تقوم بدور الأم.

– لابد أنك أكبر الأبناء في الأسرة..

– نعم.

– وأنا أيضا من الممكن أن يكون ذلك متعبا. ألا تشاركينني الرأي في ذلك؟

أحست "كارين" بموجة مرح تحتويها عندما اتجه تفكيرها إلى القدوة التي كان على "ماكس" أن يكونها لإخوته وأخواته الذين يصغرونه سنا. لابد أن المناوشات بينهم كانت على أشدها! كم من مرة أحست بالأسف عندما كانت صغيرة إنها لم تنشأ في إحدى تلك الأسر كبيرة العدد المتعاطفة ذات الأخ الأكبر المناوش المزعج. قالت:

– أحيانا ما كنت أتمنى أن يكون الوضع غير ذلك.

– لابد أنك وشقيقتك قريبتان كل من الأخرى.

– كنا كذلك لكنها تعتبرني الآن مبالغة في اهتمامي بها وتدخلي في شؤونها.

– وهل أنت كذلك؟

– لا أعلم؛ لكنني لا أحب أن أكون كذلك. ومع ذلك لم يمكنني أن أتقبل فكرة أن تترك الجامعة وتكتفي بما هو أقل بكثير مما يمكنها تحقيقه؛ لأن "بريدجيت" خارقة الذكاء و...

– "بريدجيت"؟ لهذا الاسم وقع أيرلندي على أذني.

– وما الغريب في ذلك؟

– أن نكون أقرباء من الدرجة الأولى دون أن ندري.

– أشك في ذلك جدا يا "ماكس".

– هذا رأيك؟ حسنا. هذا يريحني.

– وما أهمية ذلك عندك؟ هل يضر بوضعك الاجتماعي أن تكون بشجرة عائلتك طبيبة؟

– لا. لكن من شأن ذلك يمحو إحدى أمنياتي.

سمع "كارين" تأخذ شهيقا متعجلا ثم أردف:

– هذا صحيح يا عزيزتي. حتى إذا ما التقينا في قبلة أو عناق لا تتدخل تلك الأمور العائلية بيننا.

أكد صمت الفتاة أنه قد فاجأها بهذا القول. قالت أخيرا:

– إنك... إنك مبالغ في ثقتك بذاتك.

– الشيء الوحيد الذي أنا واثق به هو أنني سوف أقبلك. وما إذا كنت ستشاركينني هذه القبلة أم لا تشاركينني إياها أمر متوقف عليك وحدك.

– أشكرك على أنك سمحت لي بذلك القدر.

– لا مشكلة.

– ومتى سيكون هذا الحدث في اعتقادك؟

فقال مبتسما:

– في الوقت المناسب يا عزيزتي.

– حقيقة؟

– حسنا. إذا كان ذلك يضايقك إلى هذا الحد فلا بأس من أن ننفصل على الفور.

وألقى باغطية الفراش بعيدا عنه حتى يختبر رد فعل "كارين" على ذلك.

– لا!

فقال "ماكس" كذبا:

– لك كل الحق؛ لأنني لست في الحالة المزاجية المناسبة الآن، وأرى أن الوقت حان لأن أستسلم للنوم على الفور.

– تشعر برغبة في النوم؟

رأى الغضب باديا في نبراتها.. حسنا جدا.

قال وهو يكبح تثاؤبا:

– نعم.

– كيف يمكنك أن تقول شيئا... شيئا كهذا ثم تنام بهذه السهولة؟

– لأنني أتحدث عن قبلة عابرة وليس عن ارتباط مدى الحياة.

تبين أن مشكلته تمثلت في أن حياته كلها لم تكن كافية لأن يقبلها بكل الأساليب التي تمنى أن يقبلها بها، وقد زاده التفكير في ذلك توترا؛ لهذا رأى أنه ربما كان من الأفضل ألا يقبلها مطلقا.

قالت "كارين":

– حسنا. تصبح على خير إذن.

اهتز كيان "ماكس" ثانية لسماع صوتها الحازم الرقيق. يا إلهي! كلما بدا عليها الاضطراب انخفض صوتها وزاد إغراء. وانخفض في تلك اللحظة وشابته حسية بالغة حدت بـ"ماكس" إلى التفكير في الانقضاض على الأريكة لولا أن التعقل لعب دوره في اللحظة المناسبة.

– هل ستنام طوال اليوم أم ماذا؟

هلوسة.. من المستحيل أن يكون ما سمعته غير ذلك؛ لأنه كيف يتسنى لـ"ماكس" أن يكون خاملا إلى هذا الحد ما لم يكن في حلم؟ حاولت أن تستغرق في النوم من جديد.

أزعج وقع أقدام نومها من جديد.

– هيا يا "كارين" استيقظي. إني جائع جدا.

فتحت عينيها رغما عنها ووقع بصرها على فراش "ماكس" الخالي ثم تجولت ببصرها في أرجاء الحجرة.

– وما هي العلاقة ما بين نومي وشهيتك للطعام؟

فأجابها من أمام باب خزانة الملابس:

– أنت من تشترين فطورنا هذا الصباح. هل نسيت؟

أجابته وهي تنهض:

– اذكر جيدا. من يستيقظ من نومه أولا يهتم بأمر الفطور. كان هذا اتفاقنا.

استدار نحوها حاملا في إحدى يديه قميصا مزركشا وفي الأخرى بنطلونا قصيرا أبيض.

تلاشى مزاج "كارين" السيئ الناجم عن عدم النوم مدة كافية وعن الإرهاق في الحال. بدا "ماكس" شديد الجاذبية بحيث لا يمكن مقاومته بشعره الأشعث وذقنه غير الحليق وتجرده من الثياب حتى الخصر.

عضت شفتها. تقبل "ماكس". من الواجب أن تكف عن التفكير في ذلك فقد أفسدت نصف ليلتها وأضاعتها في التفكير في هذا الرجل. وما دام قد استغرق في نوم عميق بمجرد أن تبادلا تحية ما قبل النوم ونسي بناء

www.elromancia.com

على ذلك كل ما كان قد قاله لها...

– أفيقي يا "كارين"! لا معنى يذكر لما تقولينه.

– لم...؟

– لماذا الذي يستيقظ أولا هو المكلف بشراء الفطور؟

هزت رأسها في هذه المرة ونظرت في عيني "ماكس" مباشرة:

– أرى أنك تجعل من هذا الموضوع قصة.

قال متصنعا الغضب:

– أنا؟ كل ما هنالك أنني أحاول أن أذكرك بمسؤولياتك يا طبيبة. بعد ما أقلقت نومي كما فعلت أصبح ينبغي عليك أن تشعري بأنه من الواجب عليك أن تراعي تغذيتي. أي طبيب محترم هنا يعرف أن من واجبه أن...

فصاحت "كارين" بينما كانت تستلقي فوق الأريكة مرة أخرى وتسترعينيها بساعدها:

– كف! الوقت لايزال مبكرا جدا.

– مبكر جدا؟ عزيزتي لو أننا سرنا على هذا الإيقاع فسوف يتحول فطورنا إلى وجبة غداء.

– ما الساعة؟

– قاربت التاسعة.

– يقدم الفطور حتى العاشرة والنصف.

– لكن ينبغي علينا أن نستعد أولا.

جلس "ماكس" فوق حافة الأريكة في المكان الضيق الذي لم تكن شاغلة له ثم قال:

– لا أكتمك سرا يا عزيزتي في أنني أخشى أن يستغرق ذلك منك بعض الوقت.

– فتحت فاها لكن وبدلا من أن تعترض سمعت ضحكة مدوية. بدت مشاكستها مرضية لـ"ماكس" الذي اتقدت عيناه بوميض زاه.

– إنك مهين.

فقال وهو يلمس طرف أنفها:

– لا يا سيدتي. همجي.. ربما غير عادي.. ربما سيئ السمعة.. ربما في

أحوال نادرة لكن مهين؟ أما أن يكون مزاجك مرحا بحيث تبدئين المشاكسة منذ الصباح فهذا هو العمل الفاضح، وأن يكون لك فم جميل لاستقبال قبلات طويلة، وألا تعلمي مدى الجوع الذي تعرضينني إليه فهذا هو العمل الفاضح.

حل الآن دفء هادئ محل شعاع الشقاوة في عينيه. قالت "كارين" متنهدة:

– "ماكس". "ماكس" إنني...

فقد اعتصر إحساس شبيه بالألم معدتها.

قال الرجل وقد اقترب فمه منها إلى حد غير معقول:

– ماذا هناك يا "كارين"؟ ماذا تريدين؟

– إنني... إنني...

لم تكن رغبتها في أن يقبلها بمثل شدة خوفها. شل ترددها حركتها تماما.

– "كارين" أخبريني بالذي تفكرين فيه.

نطقت عينا "ماكس" بالتفهم والتشجيع ومع ذلك لم تتمكن "كارين" من التعبير عن حقيقة إحساسها. قالت متحاشية النظر إلى شفتيه:

– أعتقد أنك محق.

– محق في ماذا يا عزيزتي؟

بسطت وجنتها صوب أصابع "ماكس" التي امتدت إليها ملامسة. التقت نظراتهما وقد نطقت عينا "ماكس" بصبر في صمت.

– أعتقد أنه يلزمني بعض الوقت حتى أصبح مستعدة.

كان يعلم أنها لم تكن تعني بذلك الاستعداد لتناول الفطور فقال:

– يمكنني الانتظار.

لمس وجنتها الحريرية ثانية وإن لم يشبع ذلك له رغبة لكنه قرر أن يكتفي بذلك القدر من فاتح الشهية حاليا.

– لو كنت ذاهبة إلى حجرتك للاستعداد فسأمر بك بعد نصف الساعة من الآن.

وإذ تخلصت من سحره أحست بحمرة الخجل تصعد إلى وجنتيها.

www.elromancia.com

– إنني جائع جدا يا "كارين"، ولا أعتقد أنه يمكنني الانتظار طويلا.
جعلها في مثل دوامة فلم تدر ما إذا كان يتحدث عن الفطور أم عن شيء آخر.
– هيا إذن تناول فطورك بدوني.
فقال "ماكس":
– أمر مستحيل. أنت من سيدفع الثمن.
– أرجوك. لا تتحدث في هذا الموضوع ثانية.
– حسنا. لنذهب إذن للاغتسال.
راودت "كارين" رغبة في أن تضحك وتبكي في ذات اللحظة.
– إنك معجب بذلك جدا.
– بماذا؟
– بالتلاعب بالألفاظ خاصة معي.
فاجابها بأسلوب جاد:
– نعم يا سيدتي. هذا صحيح.
– لكن خاب تقديرك في هذه المرة فلا يمكنك الاغتسال.
– تعنين أنه لا يمكنني الاغتسال معك.
رفعت "كارين" عينيها إلى السماء:
– لم يختر القدر غيري لأقضي أول عطلة أحصل عليها طوال حياتي في تدليل شاب مصاب يعتبر نفسه ممثلا كوميديا.
– إنك تمزحين. ليست هذه أول مرة تحصلين فيها على عطلة.
– لا. لأنه لم تتوفر لي الفرصة من قبل.
– واستوجبت الظروف أن تأتي إلى هنا لتشغلي وقتك بي؟
– لم يكن لدي شيء أفضل أفعله. سبق أن قلت لك ذلك.
– مستحيل.
– لم تكن تلك مهمة بالنسبة إلي يا "ماكس" فقد استمتعت بهذا الوقت الذي قضيته بصحبتك.
سألها وهو ينظر إلى وجهها مليا:
– أنت واثقة بذلك؟

– بالتأكيد.
فقال "ماكس" وعلى وجهه ابتسامة عريضة:
– ما رأيك بذلك الاغتسال إذن؟
– أنا لا أمزح. لا اغتسال لك؛ لان غرزك الجراحية لابد أن تظل جافة.
أجابها بإسلوب غير المقتنع:
– لا بأس.
– "ماكس" من الممكن أن تعرض الجرح للتلوث. إنني جادة فيما أقول.
أمسك بذراعها حتى يقودها إلى الباب:
– أعلم أنك جادة. أنت جادة دائما عندما ترتدين قناع الطبيبة. وقلت لا بأس. ألم أقل ذلك؟
– بلى.
فقال بينما كان يفتح لها الباب:
– تم تسوية هذا الأمر إذن. سأكون عندك بعد نصف ساعة...
استعدي.
– "ماكس"...
– ثلاثون دقيقة. ولا تنسي حافظة نقودك.

www.elromancia.com

الفصل الخامس

وقف "ماكس" أمام باب حجرة "كارين" متحيرا. أول عطلة تحصل عليها، ووجد هو السبيل إلى إفسادها لها. من المؤكد أنه لم يتمن أن يصاب بحذاء التزحلق الملعون ذلك لكن ذلك لم يغير من الوضع شيئا...

قرع الباب ولم يزل حديث الليلة السابقة يحوم بذهنه. قامت بتنشئة شقيقتها، والتحقت بالجامعة، وأصبحت طبيبة في سن الـ... الخامسة والعشرين أو السادسة والعشرين؟ وقضت أولى ليالي أولى عطلاتها في السهر عليه يا إلهي! تلك الفتاة...

فتحت تلك الفتاة المذهلة باب حجرتها وقد ارتسمت على شفتيها الجميلتين ابتسامة عذبة. لم تبد له أية فتاة قبلها على هذا القدر من الجاذبية والرزانة. أضفى عليها قميصها الصوفي الأزرق ذو الياقة البيضاء الكبيرة والرسوم التي مثلت ندف الجليد والزهور مظهر الطالبة المجرد من النواحي الطفولية؛ لأن امتلاء قميصها وبنطلونها الأحمر بذلك القوام الممشوق لم يمت للطفولة بأية صلة ما.

سألها:

– مستعدة؟

– يلزمني فقط الوقت الذي آخذ فيه حافظة نقودي.

– عظيم. أكاد أموت جوعا.

– آه.. مسكين يا "ماكس" من المؤكد أنك لم تتناول أي طعام منذ أربع وعشرين ساعة.

لام "ماكس" نفسه على ما قاله؛ لأنه لم يكن من الواجب أن يحمل "كارين" مزيدا من القلق عليه؛ إذ ينبغي أن تستفيد بهذه العطلة وتستمتع بها. قرر فضلا عن ذلك أن يكون هدفه الأول هو محو تغضن القلق من جبين هذه الفتاة؛ لهذا قال بهدف طمأنتها:

– لم أكن قادرا على تناول أي طعام بالأمس. ومع ذلك لنسرع إلى حجرة المائدة قبل أن ألتهم أول شيء يقابلني.

اختفى تقطيب الحاجبين وعادت الابتسامة إلى وجهها تلقائيا.

– أسرعي يا حبيبتي فأنت أول من أريد التهامه.

تصورت كم يسعدها أن تشعر بفم "ماكس" على بشرتها مما كان له فعل شحنة كهربائية سرت بجسدها. احتواها الإحساس بشكل شفتيه، وقوة تركيب وجهه، ودفء نظراته بحدة بالغة. أن تلمس وجه "ماكس"، وتترك أصابعها تعبث في شعره الكثيف الأشقر المتموج.. شيء مثير جدا. شعر أشقر... متموج؟ ارتجفت داخليا.

سمعت نفسها تقول:

– انتظرني هنا دقيقة واحدة.

وعادت على الفور حاملة حافظة نقودها وقد هدأت أعصابها نسبيا بفعل ذلك الذهاب وتلك العودة. رأت أنها قد غالت في ردود أفعالها... لأن الغرز الجراحية التي كانت برأس "ماكس" كانت مشكلته وحده.

تجاهلت الفتاة مبتسمة نظرة "ماكس" المتحيرة عندما مرت أمامه مسرعة، وبدأ توترها يزداد شيئا فشيئا بداخل مقصورة المصعد الضيقة. التي كان "ماكس" بداخلها قريبا جدا منها وصامتا تماما. أحست بنظرات "ماكس" إلى ظهرها وكأنها تخترقه لكنها لم تستدر نحوه؛ فقد كانت قد صممت على أن تلزم الفتور. تجاهل الأخذ بنصيحتها الطبية حسنا. لن تصنع من ذلك موضوعا. لا. ما كانت "ليزلي" لتوافقها على ذلك. لكنها لم تكن لها مثل مقدرته على تبريد المشاعر قبل التصرف.

قالت "كارين":

– نسيت أن تضغط على الزر.

وامتد أصبع "ماكس" ليفعل ذلك. أزعجها أن تبينت مدى تسارع نبضها على أثر رؤية تلك اليد التي نمت عن رجولة طاغية. أطلقت تنهد نفاد صبر.

سألها بنبرة شابها الارتياب:

– ماذا حدث؟

– لا شيء.

– لماذا أحس إذن بأن الأمر غير ذلك؟

أجابته دونما تفكير مملية على نفسها السيطرة على اضطرابها:

www.elromancia.com

– الإحساس بالذنب؛ لأنك تعلم أنه كان من المفترض أن تدفع أنت ثمن وجبة الفطور.

– لا. لا أعتقد أن هذا هو السبب.

بدا صوته مفتقرا إلى الاقتناع لا بأس من أن يكون مترددا قليلا. تهللت "كارين" أن أمكنها أن تصيبه بمثل هذا الإحساس. قالت:

– ربما كان ذلك رد فعل لهذه الإصابة. يعاني كثيرون من المرضى تغيرا في المزاج على أثر إصابتهم بالصدمات...

– لا أعتقد أنني أحد مرضاك بل أولى مشكلاتك.

– تماما.

– رغم أن ذلك بعيد عن إرادتي.

– بالتأكيد؛ ولهذا السبب أقدمت على الاستحمام.

وهكذا لم يمكنها التراجع عن أن تقول له ذلك.

قال "ماكس" دون أي ندم باد:

– نعم. اغتسلت لكنني ...

وأخذ يعض وجنتيه من الداخل حتى لا يبتسم مما جعل غمازتيه تظهران وتختفيان عدة مرات.

– لا غرابة في ذلك طالما أنك رأيت أن نصيحتي...

توقف المصعد جاعلا إياها تتارجح من فوق إحدى ساقيها إلى الأخرى؛ امتدت يد "ماكس" لتساعدها على التوازن جاذبة إياها قبالة جسده بالكامل. شجعها أريج عطره ودفؤه المقترب منها فجاة على أن تاوي أقرب إليه. لم تقل شيئا بل انتظرت بفارغ الصبر فتح باب المصعد؛ إذ أحست بتصميمها يتضاءل مع كل ثانية مرت بهما.

– تعرفين أن عينيك تشعان بضوء أخضر في كل مرة تكونين غاضبة فيها؟

أجابته رغم اغتباطها بما قال:

– لا تغير موضوع الحديث.

– لم أغير موضوع الحديث. إنك غاضبة؛ لأنني رأيت أنه من الواجب أن أغتسل مرة واحدة على الأقل يوميا. وقلت لك إنك تبدين أكثر جمالا

وأنت تحت تأثير الغضب. ذات الموضوع مع اختلاف وجهات النظر.

قالت "كارين" متخذة خطوة إلى خارج المصعد:

– سوف أكف عن الحديث في هذا الموضوع. ليس لديك أدنى قدر من الجدية.

– إنني أعترض. هناك أمر... لنقل إنني آخذ أمورا معنية ماخذ الجدية.

– مثل صحتك؟

أمسك بذراعها خافضا عينيه البنيتين الواسعتين نحوها:

– حسنا. اغتسلت ولكن...

– على الرغم من أنني قد أخبرتك...

– لو تركتني أنهي حديثي لعلمت أنني قد حرصت على ألا تبتل الغرز الجراحية. وضعت طاقية الاستحمام على وجهي بدلا من شعري.

– ماذا؟ وضعت... ماذا؟

– صدقيني ليس من السهل أن أتنفس من خلف ذلك البلاستيك الملعون.

– "ماكس".. كان من الممكن أن تعرض نفسك إلى الاختناق.

– لكنني لم أعرض غرزي الجراحية للبلل.

أحست "كارين" بأنها صفر كما سبق لـ"ماكس" أن قال لها:

– إنني آسفة.

– لا تقولي ذلك.

– لكنني... "ماكس" ما كان ينبغي أن أتسرع في الحكم عليك دائما ما نصحتني "ليزلي" بضرورة التأني والتفكير قبل الحديث...

– "كارين"...

– هذا يدفعني إلى الاعتقاد بأنني لست قادرة على ذلك...

– "كارين"...

وفي لمح البصر كان واقفا أمامها وابتسامة عذبة تكسو وجهه من أذن إلى الأخرى. قال متاملا شفتيها بنظرته:

– لا تعتذري يا عزيزتي. لم تفعلي ذلك عن رغبة في أن تفعليه بل بالأسلوب الوحيد الذي أسعدني.

نعم. بدت تلك فكرة متميزة أن تعانق عينيه بوميض دافئ، أن تلمسه، أن تطوقه بذراعيها. اتجهت إليه غير آبهة بعدم مناسبة المكان. قبلة واحدة. واحدة فقط تبدد بها كل هذه الشكوك التي ظلت تطاردها منذ اللحظة التي استقرت فيها نظرتها على هذا الرجل.

اقترب منها؛ فارتجفت ابتهاجا عند ملامسة صدرها لجسده. حنى رأسه وكبحت أنفاسها. فتحت شفتيها تمهيدا لاستقبال قبلته.

– هيي "ماكس"! الطعام. إنه هناك. لا تريد أن ... آه معذرة يا سيدتي.

لا. لم تكن "كارين" في حلم. فقد كان أمام المصعد كل من "سكيب" و"فريد" و"تيري" و"آرثر" بلحمهم ودمهم. رمقت "ماكس" بنظرة استياء ولم يبد أكثر منها سعادة.

– مرحبا بكم يا رفاق. ولم تنتظروني أيضا؟

أجابه "تيري" ضاحكا:

– لا. إنك تعرفنا جيدا. أسرعت بالعودة إلى حجرتي بسبب موعدي مع "سوزي". تعلم كم يزعجها عدم اتصالي بها كل صباح أثناء غيابي.

ابتسم "ماكس" مطوقا كتفي "كارين" بأحد ذراعيه:

– "تيري". توخ الحذر فيما تقوله عن صديقتي الحميمة. لا أنتظر سوى لحظة إفراجك عنها حتى أختطفها منك.

فقال "تيري" مخاطبا "كارين":

– أخشى أن يكون هذا الحادث الذي وقع له قد أودى بصوابه. لا يريد أن يفهم أن "سوزي" لا علاقة لها بالأشخاص السمجين من أمثاله.

كبحت "كارين" ابتسامة فاجأتها. يا إلهي! كانت تتمنى أن تكون في أي مكان آخر ماعدا هذا...

قال "ماكس" مخاطبا رفاقه وجاذبا "كارين" معه إلى قاعة الطعام:

– حسنا. سوف أراكم في فترة ما بعد الظهيرة. ينبغي أن أراعي تغذية هذه الفتاة حتى تكون متأهبة لإسعافي في الحادث التالي.

– أحسن العناية بها يا رفيقي. وأشكرك على رعايتك إياه نيابة عنا. فهو عزيز علينا جدا.

رأت أن ذلك موضع تساؤل لما رأته منهم من إهمال نحو صديقهم بالأمس من أجل بضع كؤوس ونساء، وبدا أن أحدهم كان متزوجا مما زاد من عدم احترامها إياهم.

قال "ماكس" متشدقا بصوت كاد أن ينسيها ذلك الحرج الذي أحسته:

– حسنا. أين كنا؟

– في طريقنا إلى قاعة الطعام لتناول فطورنا.

لاحظ "ماكس" أن "كارين" كانت تعبث بوجبتها. تراجع عن أن يربت يدها فقد فهم بأسلوب ما ما كانت تحسه. تصاعد بينهما توتر حاد.

كان الفرق بينهما أن توتره كان مترتبا على استعادة نشاط هرموني وليس على ذلك الاضطراب الذي ألم بها. كانت غير قادرة على النظر في عينيه مرة أخرى بعد تلك القبلة التي لم تتم بينهما.

غادرت نظرتها في النهاية الطعام الذي قامت بتوزيعه بداخل الطبق لتلتقي بعيني "ماكس" وقد امتقعت وجنتاها. قالت:

– الطعام لذيذ جدا. ألا ترى ذلك؟

– من المؤكد أنه أفضل من أي طعام استطعت طهيه طوال حياتي.

– هل تستطيع الطهي؟

عظيم. موضوع محايد للحديث.

– كنت أعد أصنافا سريعة أثناء دراستي بالجامعة. لم تكن من الأصناف المتميزة لكنها كانت كافية لسد رمقي.

عاد ذلك التقطيب الذي كان قد أصر على محوه إلى جبين "كارين".

– لكنني كنت أعتقد أنك قد قمت... بعمل جسماني.

– عزيزتي المسؤولية عن شواية متأججة ووجوب مداركة خمسة طلبات في غضون ثلاث دقائق يعتبر عملا جسمانيا.

– آي نعم. بالتأكيد.

بدأت تستخدم شوكتها ثانية بينما أخذ "ماكس" يبحث عن شيء يقوله دون جدوى؛ فقد بدأ موضوع الحديث الذي أثير ولم يكتمل يرهق أعصابه. كان سبب ضيقه أنه لم يمكنه التفكير في أي شيء سوى ذلك الذي لم يتم بينهما والذي كان من الواجب أن يكتمل لهما. كانت شفتا

www.elromancia.com

"كارين" على قيد همسة من شفتيه بحيث إنه في غضون جزء من الثانية كان من الممكن له أن يذوق رحيقهما وأن يعرف سعادة أن يضمها بين ذراعيه وأن... يا إلهي! لم تكن عتبة المصعد بالمكان اللائق لإفساد علاقة ما بين اثنين.

علاقة؟! قطب حاجبيه. أثارت تلك الكلمة في نفسه صلابة من نوع خاص؛ فالعلاقات توحي... بارتباطات طويلة الأجل وبتعقيدات فهل هو مستعد لمثل هذه الأمور؟

تحقق من خلال نظرة خاطفة من أن "كارين" قد تركت طبقها كلية. كانت تنظر من خلال النافذة مثل بحار تائه ينشد شاطئا. تبع نظراتها فرأى المتزحلقين. هذا ما ينبغي لكليهما: المتعة واستنشاق الهواء النقي. لا شيء أفضل من هذا لتهدئة الأمور.

– "كارين" ما رأيك في أن نشد الرحال ونذهب للتزحلق؟

– معذرة؟

آه ذلك الأسلوب الرفيع في النطق بالكلمات البسيطة كأنها أميرة غاضبة لا يمكنها أن تصدق مدى بذاءة ما سمعته أذناها! فاتنة للغاية.

ردد "ماكس" مبتسما ما كان قد قاله من قبل:

– قلت: ما رأيك في أن نشد الرحال ونذهب للتزحلق؟

– سمعت ما قلت لكنني لم أستطع أن أصدقه.

– لماذا؟ أعلم أنك قد بدأت ممارسة هذه الرياضة. لا تقلقي. لن أتركك لحظة واحدة وستشعرين اليوم بلذة غير عادية.

قالت بصوت خافت:

– لست قلقة.

– ما المشكلة إذن؟

– أنت. ينبغي ألا تمارس التزحلق.

– بسبب الغزر الجراحية؟ ليست سوى شيء بسيط جدا.

– لكنها تقفل فتحة بحاجة إلى بعض الوقت حتى تلتئم.

وتوهجت المئات من صغار الأشعة الخضراء بداخل عينيها. يا إلهي! يا لها من امرأة! لكن كل ما كان يرجوه "ماكس" في تلك اللحظة هو أن

تهدأ هذه الفتاة وتتركه يبين لها كيفية الاسترخاء.

– هيا يا عزيزتي. اتركي قميصك الثقيل بحجرة الملابس وتعالي نستمتع بوقتنا جيدا.

– الاستمتاع ليس كل ما في الحياة يا "ماكس". التصرفات المسؤولة أهم بكثير من تحين أدنى الفرص للهو بأي ثمن كان. ومع ذلك ينبغي أن تفهم أنه ليس في صالحك أن تذهب للتزحلق قبل يوم آخر أو يومين.

كان صوتها الأبح دائما ما يثير فيه رغبة فيها لكنه أحس في تلك اللحظة بالغضب يستولي عليه.

– اعذريني إذن على غبائي الذي دفعني إلى أن أعتقد أنه طالما أمكنني السير والحديث ووضع العلك يمكنني أيضا السيطرة على لوحين فوق كومة جليد.

– لا أتحدث عن كفاءتك يا "ماكس" بل عن إصابتك. لا ينبغي أن تعرضها إلى العوامل الجوية، ومن المؤكد أنه بوسعك ألا تقوم بدور ملك الجليد مدة يوم آخر أو يومين.

– هذا ممكن وإن كنت لا أريده. فقد أتيت إلى هنا لسببين بين أسباب أخرى أحدهما هو: ممارسة رياضة التزحلق التي أحبها.

– إنني بعيدة كل البعد عن فكرة منعك من العودة إلى التزحلق حتى لا تصيب رأسك برضوض أخرى؛ لأنني لست سوى طبيبة. لكن ما الذي يدفعني إلى القلق عليك طالما أنك...

لم تكمل "كارين" عبارتها واتجهت نظرتها إلى مكان ما من خلف "ماكس" الذي سرعان ما استدار ليجد "شوشو" هناك.

– لا تقطعي حديثك بسببي. أرى أنه سيكون مثمرا.

بلغ الشوتر ذروته ثم هوى مثل بالونة العلكة التي كانت بفم "شوشو"، وتبدد غضب "ماكس" عندما رأى وجنتي "كارين" المتقعتين. فقد بدت مثل طالبة مرة أخرى لكن في هذه اللحظة غلب عليها انزعاج طفولي رسم اليأس في نظراتها.

– كل ما هنالك هو اختلاف في الرأي بيننا يا "شوشو".

ورمق النادلة بغمزة من عينه و"كارين" بابتسامة مطمئنة.

www.elromancia.com

– النساء يردن فرض رعايتهن علي، وأنا أريد أن أثبت لهن أنني رجل بالغ.

أطلقت "شوشو" تعبير تعجب أكدته بنظرة استحسان:

– أية امرأة يمكنها أن ترى أنك رجل طالما لم تكن محرومة من نعمة الإبصار، ولا تبدو لي هذه المرأة الصغيرة وكأنها بحاجة إلى العصا البيضاء. حسنا. هل تريد شيئا آخر أم تفضل استئناف اختلافكما في الرأي؟

– لا. الحساب وحسب على ما أرى.

أومأت "كارين" موافقتها على ذلك قبل أن تحول نظرها إلى صحفتها.

فقالت "شوشو" وهي تدون فاتورة الحساب:

– حسنا جدا يا أحبائي. عودا إلى مائدة الغداء. أقسم على أن النظر إليكما سيكون أفضل من مشاهدة بعض البرامج التليفزيونية. نظرة أخرى تبعتها فرقعة بعلكتها ومضت. أخذ "ماكس" يعض شفته من الداخل؛ حتى لا يضحك. دائما ما أحب الفتيات الصريحات.

– إنني متضايقة جدا.

أصاب هدوء "كارين" المنذر قلبه مباشرة. علم الآن أنها امرأة عزيزة النفس قليلة الثقة بذاتها من الممكن أن تفعل أي شيء حتى لا تلفت الأنظار إلى حياتها أو شؤونها الخاصة. لو كان قد أمكنه فقط أن يمحو ذلك التغضن بقلبة راحته...

– لا تزعجي نفسك بسبب ذلك يا عزيزتي. لم يسمع حوارنا أحد سوى "شوشو" وهي امرأة فضولية.

سألته ببريق أمل:

– هل هذا صحيح؟

سيطر على "ماكس" للمرة الثانية إحساس بالرغبة في الحماية والاستئثار:

– نعم. انظري حولنا لا أحد يهمس خلسة ولا أحد يرمقنا بنظرات ذاهلة.

رفع حاجبيه على نحو مضحك ونجحت الخطة: ابتسمت "كارين".

– أعتقد أنك محق.

– كالمعتاد.

رفعت ذقنها متخذة وضع العناد:

– لكن ليس في موضوع التزحلق.

استند "ماكس" إلى الخلف فوق مقعده ونهضت هي.

– لا بأس. ربما كان هذا أفضل من البقاء هنا لأقضي دور النقاهة. لكنني لن أستسلم لذلك. سوف أذهب خارجا وأستمتع بهذه الجبال العظيمة، وأريد أن تأتي معي.

قاومته في بادئ الأمر ثم ألقت بنظرة إلى الخارج وأخرى إلى "ماكس". تنهدت ثم لوت وجهها وبعد ذلك ابتسمت له على نحو خاطف مضطرب.

– إنني آسفة. لكن إذا وافقت على الذهاب معك فإني بذلك أعطيك موافقتي، ولا يمكنني أن أفعل ذلك.

قال متنهدا:

– حسنا. سأذهب بمفردي.

– أود لو أنك تقلع عن هذه الفكرة.

– وأود لو أنك توافقين عليها.

لاح على وجهها شبح ابتسامة:

– ما رأيك في هدنة؟

لم يسعه إلا أن يمد لها يدا؛ حتى يتلمس نعومة بشرتها. وإذ كانت وجنة "كارين" تحت أصابعه نظر في عينيها؛ سرى في جسدها ما يشبه تيارا كهربائيا فعلم أنها قد تذكرت أيضا ذلك القرب الشديد ما بين شفاههما وجسديهما والرغبة المتصاعدة التي لم يستطع أحدهما ولا الآخر إخفاءها.

حررت حلقها. لم يكن هذا أيضا مكانا مناسبا لتبادل القبلات..

التفتت "كارين" حول نفسها في حجرتها حيث قضت ساعة كاملة قبل أن تقرر الذهاب إلى قاعة المعيشة بالطابق الأرضي. أطلت نافذتها الكبيرة على مشهد بانورامي خلاب لساحات التزحلق: ربما أمكنها رؤية "ماكس" هناك.

بدا أن دعوة الجبال قد بلغت آخرين غيره. امتلأت المنحدرات

www.elromancia.com

بالمتزحلقين من جميع الأعمار. تسللت أشعة الشمس من خلال أشجار الصنوبر مضفية على الجليد بريقا أبيض اللون. راقبت "كارين" كل ذلك الجمع الصغير بشوق شديد ربما بلغ حد الغيرة من مهارتهم المؤكدة في مجال التزحلق ربما كان مرجعها أنهم يشتركون مع "ماكس" في تلك المهارة التي ليست لها.

كان أول ما لاح بذهنها بعد ما ابتعدت عن النافذة هو أن تتصل بـ"ليزلي" هاتفيا، ولم تتمكن من الاهتداء إلى حيث كانت.

فكرت بعد ذلك في الاتصال بشقيقتها "بريدجيت" لكن كلمات "ماكس" واتهامه إياها بمحاولة ممارسة الأمومة عليها جعلتها تتراجع عن هذه الفكرة. كان ذلك بالتحديد هو اتهام شقيقتها لها.. المبالغة في الرعاية والحماية.

لم تحصل على هذه العطلة إلا من أجل المتعة وأيضا حتى تمنح "بريدجيت" ونفسها ذلك الذي أطلقت "ليزلي" عليه الفراغ اللازم.

تنهدت عائدة إلى النافذة. هل "ماكس" أيضا بحاجة إلى مثل ذلك الفراغ؟

أحست من خلال لمسة للكتفين بوجود شخص ما من خلفها.

– لا بأس. كنت أعلم ذلك. كنت محقة.

خفق قلب "كارين" بشدة في صدرها. قالت بينما كانت تستدير مبتسمة حتى قبل أن تتبين ما كانت كلماته تعنيه:

– كنت محقة؟ هل تعني أن...

ووقع بصرها على صدغ الرجل المتورم:

– هل آذيت نفسك بسقوط آخر؟

– لا. لم أسقط لكن الشمس حارة جدا للتزحلق بدون نظارة واحتكاك النظارة بالغرز يؤلمني. لن يمكنني التزحلق اليوم.

بعث قوله هذا في "كارين" رغبة في الضحك لكن تعبيرات وجهه حذرتها من أنه من الأفضل ألا تفعل ذلك.

– "ماكس".. إنني آسفة.

– لا. لست كذلك.

ولم يمكنها أن تمنع نفسها من الضحك فانفجرت فقال لها:

– كنت أعلم أنك ستفعلين ذلك.

– كنت تعلم أنني سوف أضحك:

– لا. إنك ستقولين: "لقد حذرتك".

– وهأنت تقول ذلك بنفسك.

كبح "ماكس" ابتسامة لكن غمازتيه خانتاه مرة أخرى.

– لا أرى سببا لأن يسعدك ذلك. كنت فقط أريد الاستمتاع قليلا.

– الاستمتاع ليس كل ما في الحياة.

– محقة دائما مع ذلك.

تبدد مزاج "كارين" المرح فقالت:

– هل هذا ما تراه في؟ تعتقد بحق أنني بحاجة دائما إلى أن أكون محقة؟

– لم يكن ذلك ما كنت أعنيه يا "كارين". أؤكد لك ذلك.

وقد آلمه أنه جرح مشاعرها.

– لا تعتقد إذن أنني متعنتة جدا؟

قال وهو ينحني من فوقها ليلمس وجنتها بأصبعه:

– لا يا سيدتي.

كم أحبت ملامسة أصابعه لوجهها. كادت أن تنسى حتى أن تتنفس. لو كان دائما هكذا: طريف رقيق ومخلص. لكنه لو استمر على هذه الحال فلن يصبح "ماكس" وسوف ينقصه شيء ما كما ينقص الشمس يوم مطير. ذلك الشيء الذي يزعجها أحيانا ولكنه يضحكها كما لو كان مصدرا لسعادتها.

استطرد "ماكس" قائلا:

– لا أراك متعنتة على الإطلاق يا سيدتي. أراك جميلة كريمة الخلق دءوبا. لكنني أعتقد أنك تبالغين في الجدية حيال أمور معينة. حاولت أن تبتسم:

– وأعتقد أنك لا تعطي أمورا معينة القدر اللازم من الجدية.

أومأ رأسه ببطء وبدا عليه الاستغراق في التفكير.

www.elromancia.com

– تعلمين يا عزيزتي؟ أرى أنه من الواجب علينا أن نواجه أنفسنا.

– ماذا؟

فقال مؤكدا بينما اتجهت نظراته الثاقبة إليها:

– نعم. سأطلب منك أن تبيني لي أخطائي الشائعة لو أعطيتني الفرصة كي أعلمك كيفية الاسترخاء.

كادت "كارين" أن تنفجر ضاحكة قبل أن تتبين للمرة الأولى أنه كان جادا فيما قال:

– تعلمين يا "كارين" الاستمتاع والمسؤولية ليسا متضاربين بالضرورة.

– أعلم لكنني.. لكنني..

لكنني ماذا؟ ألا تصدق ذلك؟ ألا تسمح لنفسها بان تصدقه؟ أزعجها هذا السؤال. هل قضت كل حياتها في إثبات أنها مختلفة عن والدها حتى تتوصل إلى ذلك ولا ترى في المتعة سوى شيء بغيض.

قالت:

– موافقة.

قال "ماكس" مبتسما إليها تشجيعا:

– حقيقة؟

فمدت له يدا أخذها في قبضة دافئة قوية.

– حقيقة.

الفصل السادس

لا. لن تلعب "البوكر" ولا لعبة الزجاجات ولا الاستغماية في صالة اللعب الفسيحة. لا. لا. ثم لا. فضلت أن تتعلم "البلياردو" عن بعد.

قال "ماكس" مخاطبا إياها من فوق كتفه:

– حسنا. حتى نبدأ اللعب هكذا نرتب الكرات.

ملأ الشكل المثلث المصنوع من الخشب ثم شرح لـ"كارين" كيفية طلاء مقدمة عصا "البلياردو" الخاصة بها باللون الأبيض ثم شرح لها بعض قواعد اللعبة البسيطة، وبعد أن ضرب الكرات الأولى أمامها كدرس عملي لتقنية هذه اللعبة– على وجه العموم– جعلها تفعل ذلك بنفسها.

لم يكن أداؤها شيئا على الإطلاق خاصة لو أخذ في اعتباره أن كلا من تحركاتها كانت مرصودة جيدا. عندما رفعت بصرها عن المنضدة تبينت أن نظرة "ماكس" كانت مصوبة إليها بحماس جعل أعصابها ترتجف.

– أتحبين أن أريك كيفية تسديد هذه الضربة؟

دققت النظر إلى ذلك الغطاء اللبادي الأخضر على نحو غير مستقر ثم قالت:

– ليس هناك مجال لأية ضربة ممكنة. فإما أنها بعيدة عن أية حفرة وإما أنها في وضع شاذ.

قال مرددا بنبرة امتزجت بالضحك:

– شاذة؟

– نعم. لا يمكنني تسديد ضربة إلا في مسار مباشر.

– هذا ممكن يا عزيزتي. هناك أسلوب دقيق لتسديد الضربات إلى الكرات في الأوضاع الشاذة.

– حقيقة؟ هل يمكنك إطلاعي عليه؟

– إنها محاولة.

حفزها رد فعل "ماكس" فلم تحب "كارين" أن تكون دون مستوى التميز في أي شيء تضطلع بادائه.

– حسنا. علمني إياه.

www.elromancia.com

ما إن وقف من خلفها وعن قرب شديد منها- بحيث أحست بدفء جسده- حتى انتابتها رغبة شديدة. انحنى مثلها من فوق المنضدة بحيث كاد جسداهما أن يتلامسا.

ابتلعت لعابها مستمتعة بالرائحة المنعشة التي انبعثت منه وازدادت سرعة نبضها إلى حد محموم.

وضع "ماكس" يديه بعد ذلك فوق يدي "كارين" ممسكا بإحداها عصا "البلياردو"، ومستندا بالأخرى على المنضدة لكن لم يكن لأي من تلك الحركات أدنى أهمية؛ إذ كانت "كارين" مستغرقة في تلك المشاعر التي أثارها فيها قربه الشديد منها.

أملت على نفسها أن تتجاهل إحساسها برجولته الطاغية لكن لم يمكنها مقاومة ترحيبها بها. كانت محاصرة.. محاطة به بحيث وجدت صعوبة حتى في أن تتنفس.

- والآن ركزي على هدفك.

مس دفء صوت "ماكس" وجنتها؛ فسرى في جسدها ارتعاد أصبح مألوفا لها.

رفع عصا البلياردو وصوبها نحو الكرة المستهدفة وفي حركته زاد من ضغطه على العصا، وازداد قربا منها؛ فاحست بقوته وبمدى تأثره بقربه منها.

كادت ألا تسمع التعليمات التالية؛ فقد هاجمتها المشاعر الجامحة التي استنفدت مقاومتها لها جل قواها.

سألها "ماكس" بنبرة حانية:

- مستعدة؟

فاومأت "كارين" برأسها غير مدركة تماما ما كانت توافق عليه. تساءلت في اضطرابها: أين ذهب تعقلها المعتاد وردود فعلها الرزينة مع مثل هذه الأمور الجسدية؟ بدا تلامسها مع هذا الرجل وكأنه يودي بها. جذب العصا إلى الخلف ثم دفعها مرة أخرى نحو الأمام مطوقا بحركته هذه الفتاة الواقفة أمامه.

رأت في ضباب اضطرابها الكرة البيضاء تتجه نحو مرماها فقد ترتب على الاصطدام الذي حدث بين الاثنتين أن اختفت إحداهما بداخل

حفرتها، وعادت الأخرى متكاسلة نحوهما. انتظرت أن يتراجع "ماكس" إلى الخلف وأن يعود نبضها إلى خفقانه الطبيعي. وانتظرت...

لكن حركته الوحيدة كانت ربت يديه الإيقاعي فوق يديها وتموج حقويه غير الملحوظ وبتلك الخفة التي دفعتها إلى التساؤل ما إذا لم تكن في حلم.

قال بصوت أجش:

- هكذا يا عزيزتي.. ضربة جميلة.

اكتفت "كارين" بأن خفضت جبينها نحو الأمام؛ لأنها كانت واثقة بأنها لو تحدثت فسيكون صوتها مضطربا مثقلا بالأحاسيس كصوت "ماكس".

أرادت أن ترى بعينيها ما كانت تشك في وجوده فكانت أمام رغبة ملتهبة. التقت نظرة "ماكس" بنظرتها.

- أنت سريعة البديهة يا عزيزتي. وهذه إحدى المميزات التي تعجبني فيك.

لم يمكنها الاهتداء إلى صوتها وكبحت أنفاسها. شلت حدة المشاعر التي نطقت بها عيناها. حركتها بحيث تسمرت في مكانها فترة من الزمن.

أرادت بعد ذلك أن تبتعد عنه لكنه أدارها نحوه مليا عليها التشبث بكتفيه حتى لا تسقط.

- "ماكس"...

طوق خصرها بإحدى ذراعيه واضعا يد الذراع الأخرى أسفل قاعدة رأسها. حدثها بصوت هادئ وإن شابه الإلحاح:

- لننجز الآن ما كنا قد بدأناه في الصباح يا "كارين". أريدك.

اهتزت فزعا أمام بركان تلك المشاعر الجامحة. كانت قد قالت لنفسها: إنها مجرد قبلة.. واحدة، وكان لتنهدها معنى الاستسلام.

سمعه "ماكس" وقرأت هي معاني الانتصار في عينيه. خفض رأسه وأصبح فمه قبالة فمها بحيث اختلطت أنفاسهما. فرض عليها تردد من قبيل المشاكسة بحيث عرفا بضع لحظات من الترقب.

استأثر بعد ذلك بشفتيها متعطشا، وكان ذلك الرجل كما من المشاعر والغواية. لجأت أقرب إليه مستسلمة لعنف المشاعر التي أضرمها بداخلها فامتدت إلى كل جزء من جسدها.

www.elromancia.com

قال هامسا في عنقها:

– لا يمكنني التفكير في أي شيء آخر منذ الليلة الماضية. وإذا كان هذا ما لا ترغبينه مثلي فارجوك أن تخبريني على الفور.

تصارعت بداخل ذهن الفتاة المضطرب فكرتان متضاربتان. ولم تهتد إلى أية إجابة. نعم.. تريد هذا الرجل وكل دقة من نبضات قلبها تعلن عن هذه الرغبة. لكن هل تريده هكذا؟ على هذا الوضع؟ هذه اللحظة العابرة من الاستسلام التام التي من شأنها أن تجلب المزيد من التخبط على حياتها؟

قال لاهثا:

– تعالي إلى حجرتي.

اتسعت عينا "كارين" دهشة كاشفتين بلا تحفظ عن الخوف الذي حاولت إخفاءه.

قال:

– لا أريد بك أذى بل سرورا.

قالت هامسة وهي ترتعش:

– أعلم. لكن هذا أكثر مما ينبغي. الوقت مبكر جدا على ذلك.

ضغط "ماكس" شفتيه بشدة على فمها لحظة ثم تركها رغما عنه.

– مبكر جدا؟

أملى على نفسه أن يبتسم على الرغم منه. أومأت برأسها. كان بوسعه أن يلح عليها، وأن يفهمها أنها تخوض معركة خاسرة مسبقا، ولم يكن ذلك سوى تقرير واقع. فقد واجهه ذات الموقف المحير: يريدها مع عدم رغبة في أن يشتهيها بهذه الشدة، وعلم أنه قد خسر المعركة عندما فقدت الجبال بهاءها بالمقارنة بالسعادة التي جلبها عليه مجرد وجوده مع "كارين"؛ لهذا تراجع عما كان قد اعتزمه وعاد إليها متعللا بموضوع النظارة الشمسية.

وقد انتهى الآن الصراع بالنسبة لـ"ماكس" وختمت تلك القبلة مصيره. ستكون لهما قصة معا ولم تكن سوى مسألة وقت. لكن كان ينبغي أن تكتشف "كارين" ذلك كما اكتشفه هو. لن يلح عليها أو يتعجلها. سوف يعطيها مهلة... لكن الزمن كان محسوبا عليهما؛ لأن العطلة لن تدوم طويلا.

قرر أن تكون أدواته في هذه المعركة: الرزانة في الإغراء، والصبر المتناهي.

– حسنا. لا بأس. مستعدة لتلقي جولة أخرى؟

انقضت ساعة من الزمان أحس "ماكس" بعدها باعتزازه بذاته.

فلم يضع عليها يدا أو كاد ألا يفعل فلم يلمسها إلا مرات معدودة عندما اقتضت الحاجة ذلك. ومع ذلك اعتبر نفسه في عداد القديسين؛ لأن أحدا دون مستوى القداسة لا يمكنه مقاومة "كارين" ولم يسبق له أن كان ذلك حتى حلول ذلك اليوم.

راقبها تلعب "البلياردو" بسرور حقيقي. واقع الأمر أنه وجد متعة كبيرة في النظر إليها كادت أن تضاهي سعادته بلمسها. يا لها من امرأة. كم من التصميم بداخل جسد جميل.

رفعت "كارين" بصرها عن المنضدة وذبلت ابتسامتها:

– ألم أتقن قواعد اللعبة بعد؟

حول انتباهه إلى اللعبة قبل أن يجيبها:

– أراك تجيدينها.

– لماذا تلك التعبيرات إذن؟

أجابها بنبرة غلب عليها الاضطراب:

– لا شيء على الإطلاق يا عزيزتي.

فقالت:

– لابد أن تكون متعبا إذن.

– لا... كنت أتساءل فقط ما إذا كان يمكنني التوصل إلى إقناعك بأن تلعبي معي جولة "بوكر".

تورد وجنتا "كارين فازدادت جمالا.

– لن أفعل ذلك أبدا.

– هذا ما توقعته لكنني لازلت أحتفظ بقدر من الأمل بالنسبة للعبة الزجاجة.

– عن أية زجاجة تتحدث يا صديقي؟

كان ذلك الصوت الذي سمعه مألوفا. التفت "ماكس" نحو باب قاعة اللعب فرأى "سكيب" و"آرثر" يتقدمان إلى داخلها وبصحبتهما فتاة لم يعرفها.

قال إجابة على ما سمعه:

www.elromancia.com

– لا يهمني نوع الزجاجة التي ستؤدي الغرض طالما أنني لن أدفع شيئا.

فقال "آرثر" مقترحا بين نفسين من سيجارة:

– اختر إذن السم الذي تريده فهذا دور "سكيب".

لم تأنس "كارين" لديها الشجاعة الكافية لمناقشتهم؛ فقد عكرت رؤيتها صديقي "ماكس" مزاجها قبل أن يتحدثا عن ذلك النوع المؤذي من المشروبات.

سألها "سكيب":

– وأنت يا طبيبة؟ سوف أنادي النادلة حتى تحضر لنا جميعا شيئا ما.

فاجابته "كارين" بنبرة جافة:

– لا. لا شيء من أجلي. أشكرك.

فقال "ماكس" بإلحاح بينما كان يوجهها إلى أحد المقاعد المرتفعة:

– هل أنت واثقة بذلك؟ ربما مشروب خفيف؟

– لا أتناول هذه النوعية من المشروبات.

– نهائيا؟

سعدت أن لم ينطو سؤاله هذا على لوم. لكن لا.. لم يعبر إلا عن الدهشة..

– نادرا ما أتناول مشروبا خفيفا مع العشاء.

– هل أطلب لك قدح شاي؟ أو عصير فاكهة؟

– نعم. عصير برتقال.

غمرتها نظرة الاستحسان التي رمقها "ماكس" بها ببطء.

– يمثل هذا سرا لديك يا عزيزتي؟

حمدت الله أن كان الآخرون مشغولين باختيار أنواع مشروباتهم بحيث لم ينتبهوا إلى ما قاله لها.

قال "سكيب" بعد ما حدد نوع المشروب الذي اختاره:

– وكاس منه لـ"لوسي". آه.. اقدم لكما "لوسي"، "لوسي".. "كارين" و"ماكس" وأنتما.. ماذا؟ عصير برتقال و... وأنت يا "ماكس"؟

– لا تشغل بالك بي، سوف أذهب بنفسي.

– آه.. هذا كرم عظيم منك.

فاجابه "ماكس" ضاحكا:

– إطلاقا. حتى يستريح ضميري وحسب.

سأله "سكيب" رافعا أحد حاجبيه:

– تعاني إحساسا بالذنب بسبب موضوع ما؟

– ليس بعد. لكنني أعلم أنك سوف ترغب في منازلتي في "البلياردو"، وأنني سوف أتمكن من الاستفادة من جولاتك بعد الانتهاء من تناول المشروبات، وأنني سوف أربحها.

تسلل "آرثر" من خلفه وقبض على قفا عنقه:

– لا تعتقد أنه يمكنك أن تهزمنا بهذه السهولة أيها الأحمق. لا تنس الذي علمك كل ما تعرفه.

سألته "لوسي":

– هل أنت بطل بحق؟

– لحسن حظي.

وأعلنت ابتسامة "ماكس" العريضة عن أن الحظ لم يكن عاملا يعتد به في هذه اللعبة.

هذا ما دفع بـ"كارين" إلى التفكير. كان "ماكس" مراوغا فيما يتعلق بعمله، لكن لا.. لا أحد يجعل من ذلك مهنة يعيش منها اللهم إلا في الأفلام السينمائية لكن مع كل ذلك...

– أرجو ألا يضايقك أن أذهب مدة دقيقة أو اثنتين لتسوية حسابات هؤلاء الأصدقاء يا عزيزتي؟

أومأت برأسها موافقة، ومحاولة في ذات الوقت إخفاء مدى عدم ارتياحها فقد تغير جو هذه القاعة منذ لحظة وصول صديقي "ماكس" إليها. لم يمكنها أن تستنبط أي شيء من جلوسها بينهم وضايقها تخاطبهم بالهمس لكن "ماكس" كان قد جاء لقضاء عطلته معهم، وكانت هي قد استحوذت على قدر كبير من اهتمامه.

قالت مبتسمة رغما عنها:

– تفضل بالذهاب. لم أشاهد من قبل بطلا وهو يلعب.

– عزيزتي. لم تشاهدي أفضل ضرباتي فحسب لكنك هزمتني أيضا.

قال "سكيب":

– سوف يتحتم عليك أن تلعبي أيضا يا طبيبة.

www.elromancia.com

فقال "ماكس":

– لا تعول على ذلك. إنها تدخر جهدها لمباراة الثأر.

ثم استطرد مخاطبا "كارين" بينما كان يتجه نحو الباب:

– راقبيهم جيدا. إذا كان هناك سبيل واحد للغش فسوف يهتدون إليه.

وبوقت عودته حاملا صينية المشروبات المطلوبة كان "سكيب" و"آرثر" قد بدآ التسخين استعدادا "للبلياردو" بينما اتخذت "لوسي" لها مقعدا مجاورا لمقعد "كارين" وكانت تقول:

– وانتهى الأمر بي إلى الهبوط في "كولورادو". من كان يصدق أن فتاة من أهالي "فلوريدا" تأتي إلى هذه الجبال وتعيش هنا لكنني سعيدة هنا؛ فدائما أجد ما يشغل وقتي.

أحست "كارين" وكأن قلبها قد بدأ يذوب عندما تصاعدت رائحة المشروبات إلى أنفها، نظرت إلى "ماكس" واتجه تفكيرها إلى كم من الزمن استطاع أن يشغلها منذ ذلك الحادث الذي وقع له لكن حتى ابتسامته ذات الغمازتين لم تنجح في تبديد انحراف مزاجها؛ فقد كانت تلك الرائحة مرتبطة بذكريات عديدة ملأى بالعذاب والمآسي.

قال "سكيب" من عند منضدة البلياردو:

– هيا يا "ماكس". أريد أن أكون أول من يسحقك.

فأجابه "ماكس" وهو في طريقه إليه:

– أحلم دائما!

سألتها "لوسي" بينما كانت تشعل سيجارة:

– أحب مشاهدة مباراة "بلياردو" قوية وأنت؟

رأت "كارين" أن تحتسي من كأس عصير البرتقال؛ حتى تتحاشى الإجابة. لم تكن مثل هذه القاعات من الأماكن التي تستهويها.

قال "آرثر" ضاربا بيده كتف "ماكس" قبل أن ينضم إلى الفتاتين:

– إنني معول عليك يا صديقي فلا تخذلني.

فأجابه "ماكس" بينما كان يعد عصاه:

– لا مجال لأية مخاطرة.

وأتى صديقه هذا بعد ذلك ليتخذ له مقعدا مجاورا لمقعد "كارين".

اختلط الدخان الأزرق المتصاعد من سيجاره بدخان سيجارة "لوسي". حمل إلى "ماكس" كأس مشروبه الخفيف مهنئا إياه على جولة موفقة وبللت حبات من عرق جبين "كارين".

قالت "لوسي":

– لاعب جيد.

وأجابها "سكيب" الذي كان قد عاد عندئذ:

– يبدو كذلك لكن لا ينبغي الحكم على كتاب من غلافه الخارجي.

زاد إحساس "كارين" فجأة بالرغبة في القيء؛ لأن كل كلمة نطقها "سكيب" كانت محملة برائحة ذلك المشروب الذي كانت "كارين" تتعرف عليه بين ألف نوع من المشروبات المماثلة والذي كانت رائحته ملازمة لوالدها في كل مرة يعود فيها من ناديه الليلي والتي كانت تعبق تلك الأماكن التي اعتاد التردد عليها والتي كانت تضطرها الظروف أحيانا إلى التوجه إليها بحثا عن والدها لإعادته إلى والدتها المريضة وشقيقتها الصغرى المذعورة.

غادرت المقعد مملية على نفسها التنفس المتقطع تلافيا لاستنشاق قدر كبير من تلك الرائحة ودخان التبغ.

– أستأذنكما. أرى ضرورة العودة إلى حجرتي.

رفع "ماكس" عينيه من فوق منضدةاللعب وترك العصا لحظة حتى يلحق بها.

– هل أنت بخير يا عزيزتي؟ إنك شاحبة الوجه تماما.

– نعم. لكنني بحاجة إلى الذهاب إلى حجرتي بعض الوقت.

– سوف أصحبك إلى هناك. تبدين...

– لا!

ارتسمت على وجه "ماكس" علامات الألم والدهشة؛ لذلك استطردت تقول وعلى شفتيها ابتسامة واهنة:

– واصل مباراتك. ساكون على خير ما يرام.

أحست بدوار ورغبة في القيء، وكان لزاما عليها أن تنسحب وعلى الفور.

www.elromancia.com

الفصل السابع

قرر "ماكس" أنه إن لم تخرج من هناك على الفور فسوف يدخل بنفسه للبحث عنها.

ناداها مرات متعددة:

– "كارين"؟ أرجوك يا عزيزتي عرفيني فقط أنك بخير.

لم يزده الصمت إلا قلقا. لكن الباب فتح فجأة:

– ماذا إذن يا سيدي الصغير؟

دققت المرأة –التي ظهرت بالباب مرتدية زي الفندق– النظر إليه طويلا قبل أن تستطرد قائلة:

– إنها مريضة. إذا كنت ترغب أن تسند لها رأسها فوق البالوعة فهذا شانك لكن انتظر حتى أنتهي من أعمال النظافة بالداخل.

وأغلق الباب في وجه "ماكس" الذي دفعه بقوة ففتحه.

– ألن...

– لا. أين هي؟

اتجه وجه المرأة الذاهل نحو باب آخر. تمتمت ببعض كلمات الشكر قبل أن تتوجه إليه.

رأى "كارين" منحنية من فوق حوض غسيل الوجه تنشر الماء على وجنتيها. يا إلهي! كم بدت منهكة القوى!

التقط نفسا عميقا قبل أن يجرؤ على أن يسألها:

– هل يمكنني أن أقدم لك أية مساعدة؟

رفعت "كارين" نحوه عينيها محاطتين بهالة حمراء وقالت بصوت واهن:

– سأكون على خير ما يرام الآن.

اقترب "ماكس" منها واضعا يدا فوق جبينها.

– حرارتك طبيعية.

– نعم. أشعر بتحسن ملحوظ. ولايبدو عليك أنت أيضا تمام الصحة.

كان "ماكس" يفضل الموت على أن يخبرها بمدى اضطرابه لرؤيتها على

هذه الحال.

– لو كنت تعتقدين أن هذا يريحني.. أن أجد نفسي بإحدى دورات المياه المخصصة للسيدات...

– لا حاجة بنا إلى أن نبقى هنا. لم أعد مريضة الآن.

– لكنك لاتزالين ضعيفة جدا.. هذا ما قاله "ماكس" محدثا نفسه في صمت عندما رأى مدى شحوب وجهها وارتعاد يدها التي امتدت لتبعد عن وجهها خصلة شعر أزاحتها إلى ما خلف أذنها. طوق كتفيها بذراعه استعدادا لأن يحملها إذا ما اقتضى الأمر ذلك.

– تعالي يا عزيزتي سوف أذهب معك حتى حجرتك.

– لا. عد إلى مباراتك. أشعر أنني في تحسن مستمر الآن.

– فكري جيدا. إنك مريضة. ربما كان ذلك تسمما غذائيا أو شيئا كهذا. لن أتركك طالما أننا لا نعرف السبب.

سارا معا إلى الباب وقالت له بنبرة هادئة:

– ليس هذا تسمما غذائيا.

طمأنته نبرة الثقة التي شابت صوتها قليلا؛ لأنه لابد أنها كانت تعلم بما تعانيه؛ لأنها طبيبة قبل كل شيء آخر.

– وليست نزلة برد أيضا وإلا ارتفعت درجة حرارتك. أليس كذلك؟

– هذا صحيح.

استقلا المصعد حتى يصعدا إلى الطابق المعني. اعتقد "ماكس" أن ذلك ربما كان مشكلة هضمية أو...

– هل أنت حامل؟

– لا.

وكانت هذه الـ"لا" جافة جدا. اضطرب بسبب طرحه هذا السؤال. سألها بينما دخلا حجرة "كارين":

– ما هو السبب إذن يا عزيزتي؟

ساعدها على الاستلقاء فوق فراشها، وخلع لها حذاءها وغطاها بعناية قبل أن يجلس بالقرب منها.

– كيف يمكنني مساعدتك وأنا أجهل ما تعانينه؟

www.elromancia.com

زاده اضطرابا أن امتلأت عينا "كارين" بالدموع:

– ليس بيدك أن تفعل شيئا يا "ماكس". إنه مجرد...

أرادت أن تضحك لكن الدموع سالت غزيرة فوق وجنتيها.

– إنها مجرد حماقة لكن لا يمكنني الحديث عنها.

سرت في جسد الفتاة قشعريرة شديدة. رقد "ماكس" بجوارها جاذبا رأسها إلى التجويف ما بين عنقه وكتفه وأخذ يدلك لها ظهرها من فوق أغطية الفراش.

– حدثيني عما بك يا "كارين". يمكنك أن تثقي بي.

أراد بكل قواه أن يساعدها لكن ما السبيل إلى ذلك؟

التقطت نفسا عميقا قبل أن تقول أخيرا:

– ما أعانيه كان بسبب الرائحة.

قال مرددا دون أن يفهم ما كانت تعنيه:

– الرائحة؟ الرائحة؟

– نعم، الأبخرة. الكحول.

احتقن حلق "ماكس" تخوفا بينما استطردت "كارين" قائلة:

– لست معتادة على أن تؤثر في هذه الرائحة إلى هذا الحد. ربما كان السبب هو بيئة قاعة اللعب. ورائحة ذلك المشروب بالذات.

نظرت إلى عيني "ماكس" بمثل التوسل لأن يتفهم ما كانت تعنيه. ثم استطردت تقول بصوت رقيق كاد أن ينطق بمعاني الخوف:

– لأن هذه الرائحة بالذات كانت تفوح من والدي دائما. كان.. كان مدمنا.

أغمض "ماكس" عينيه. آه.. لا! كيف يمكنه أبدا أن يعترف للمرأة الوحيدة التي يحبها إلى حد الجنون والتي تعاني جراحا عميقة بسبب تعاطي والدها تلك المشروبات أنه قد نشأ بالفعل في أماكن تقديمها؟ إذ كان أول عمل زاوله بعد دراسته بالمدرسة هو ترتيب المناضد بالملهى الليلي القريب من سكنه ثم وبعد فترة من التدريب المتخصص على أعمال الشي السريع تولى الإشراف على إدارة أحد مثل هذه الأماكن حيث قام بتقديم المشروبات لرجال من أمثال والد "كارين".

تجرأ أخيرا وسألها:

– هل أقدم على... إيذائك؟

– لا. لأنه لم يكن شريرا ولا عنيفا. كان عيبه الوحيد هو المواظبة على تعاطي تلك المشروبات.

– ورائحة هذا المشروب جعلتك تفكرين فيه، وكان ذلك هو سبب مرضك.

تمنى لو أنه بإمكانه أن يسدد إلى أنف ذلك الرجل لكمة قاسية جزاء ما فعله بابنته.

ابتعدت "كارين" عنه رافعة ذقنها بأسلوبها المعروف.

– لا. ليس هذا ما أعنيه. ما أريد قوله هو أن التفكير فيه ليس له مثل هذا الأثر علي إطلاقا. حاول أن تفهمني يا "ماكس". كنت أحب والدي، وكان بمقدوره أن يكون رجلا مدهشا. كان في صباه وفي شيخوخته محبوبا وظريفا مثلك في بعض الجوانب.

وابتسمت برقة لكن ذلك أثار غضب "ماكس". كيف تشبهه برجل مدمن!

– كان بإمكانه أن يضحكني حتى عندما وصل المرض بوالدتي إلى مرحلة متقدمة. كان باستطاعته أن يجعلنا جميعا نضحك.

ثم هزت رأسها مستطردة:

– لسوء الحظ أنه قد أضحك الآخرين أيضا. ترى "ليزلي" أن هذا هو سبب تمسكي بأن نفعل "بربدجيت" وأنا شيئا ما منبعثا من ذاتينا؛ لأنني أمقت أن يسخر مني أحد.

أمسك بيدها ناظرا إلى عينيها المستفسرتين. قالت:

– أريدك أن تعرف شيئا معينا: قدرتك على إضحاكي لا تعني مطلقا أنه يمكنني أن أسخر منك. أحب ما تفعله وأحب أسلوب أدائك إياه. واضح؟

أومأت برأسها قبل أن تترك ذلك الرجل يجذبها إلى ذراعيه بلا مقاومة تذكر.

– أتعلمين يا عزيزتي: ما كان أحد ليسخر من والدك لو أنه عرف أنه

www.elromancia.com

كان مريضا.

– كان مريضا. نعم لكنني لم أكن على علم بذلك. كل ما عرفته عنه هو أنه لم يكن باستطاعته الاحتفاظ بأي عمل التحق به، وأنه لم يكن موفيا بوعوده. في اليوم الذي توفيت والدتي فيه كان بأحد تلك النوادي. لم يكن لدينا المال اللازم لإدخالها أحد المستشفيات؛ لذلك ظلت بالبيت.

وفي ذلك اليوم.. لا أدري.. لابد أن هاجسا راودني. بقيت في البيت بدلا من أن أذهب إلى المدرسة، وكان لزاما علي الخروج من البيت للبحث عنه. كان قد أسرف في تناول المشروبات بحيث لم أفلح في حمله على مغادرة ذلك المكان ومع ذلك قلت له... قلت له...

كان "ماكس" يتمنى لو أنه يمكنه أن يفعل أي شيء أو يقول أي شيء لكنها كانت بحاجة إلى أن تتحدث وإلى أن يصغي إليها أحد.

أحس كل كلمة قالتها بعمق وتوترت أعصابه تبعا لذلك.

تنهدت "كارين" بعمق مستطردة:

– كل ما كان يعود به إلى البيت كان مزيدا من المشروبات. كانت أمي تتألم ولم يكن قادرا على أن يغادر ذلك المكان القذر ويأتي لمساعدتها. ومنذ ذلك اليوم لا يمكنني المرور بأي من تلك الأماكن دون أن أتذكر تلك المأساة، لا شك في أن هذا يبرر ما حدث اليوم: الرائحة وذات الضجة.

توترت أعصاب "ماكس". ماذا يمكنه أن يفعل؟ أن يقول لها: "كارين" في الواقع أن هذه الأماكن تعيد لي ذكرى المرة الأولى التي أصبحت فيها مالكا لشيء ما لكن لا تقلقي فقد مررت بفئة من مصانع مثل هذه المشروبات عالية المستوى. لا بكل تأكيد. ثم لا ينبغي خلط الأمور ببعضها البعض.

استطردت "كارين" في تلك الأثناء قائلة:

– حاولت إخفاء مشكلته عن "بريدجيت" بوضع حائل ما بينها وبين أكاذيب "جولي ديفيز" المسكين حتى توفي والدي؛ والآن تقول إنني أغالي في حمايتها، وأنه من غير الممكن أن أعيش حياتها لها.

قال برفق:

– إنها محقة في ذلك. ينبغي أن تتركيها تختار لنفسها العمل الذي

يناسبها.

– هذا ما تقوله "ليزلي".

– من هي "ليزلي" التي تتحدثين عنها دائما؟

– أعز أصدقائي وهي طبيبة أمراض نفسية ذائعة الصيت.

– قولها معقول على أية حال. لكن صدقيني لا يمكنك أن تفعلي من أجل أي إنسان أي شيء لا يريده بغض النظر عما تبذلينه من جهد في هذا السبيل.

قالت "كارين" بينما كانت تكبح تثاؤبا:

– تبدو وكأنك تتحدث عن شيء تعرفه تماما. هل حاول أحد إقناعك بأن بالحياة اهتمامات أخرى غير البلياردو؟

– بذل والدي جهدا كي يغريني بالعمل في الورشة المملوكة له: "أوكونر" وولده لكنني لم أرغب في أن أكون ميكانيكيا. ومع ذلك البلياردو ليس مهنتي... وإن كنت أتقن فنون هذه اللعبة.

– هل مهنتك أفضل من الميكانيكا؟

– ومع ذلك لست جاهلا بأعمال الميكانيكا لكن أخي "مايك" متفوق علي جدا. وهو شريك أبي.

– ما هو عملك إذن؟

ارتجف "إنني صاحب مصانع إنتاج مشروبات!" لا، لا يمكنه أن يخبرها بذلك، ليس الآن على الأقل.

– لو أنك استرحت قليلا يا عزيزتي سوف نتحدث فيما بعد.

– متى؟

– بعد قيلولتنا.

– هل سننام؟

أومأ برأسه وتثاءبت ثانية:

– إننا متعبان تماما.

– لأننا لم ننم تقريبا في الليلة الماضية.

قالت بصوت غالبه النعاس:

– تبدو لي بعيدة جدا.

– إنها بعيدة يا عزيزتي. بعيدة جدا.

مرر يده برفق فوق شعر الفتاة الحريري وما لبث تنفسها أن عمق وبدا أكثر انتظاما.

أرى أنك سوف تضطرين إلى أن تنتظري هنا حتى أذهب وأبحث لنا عن نجدة.

عاد سائق "الميني باص" الصغير المحتضر ونظر إلى "كارين" و"ماكس" الجالسين فوق المقعد الخلفي الطويل.

– إنه المكربن. ولا يمكن للسيارة السير قبل إصلاحه.

تنهدت "كارين". وسيلة المواصلات الوحيدة بهذا الفندق لا تسير على نهج أفضل من جهاز تدفئته. ساله "ماكس":

– وكم من الوقت يستغرق هذا الإصلاح؟

حك السائق جبينه مفكرا قبل أن يجيب:

– ليس أكثر من ثلاثين إلى خمس وأربعين دقيقة. ورشة "سام" أغلقت الآن ويمكننا الآن استدعاؤه.

فقال "ماكس":

– حسنا. سنذهب إلى هناك سيرا على الأقدام.

وقفزت "كارين" من فوق مقعدها:

– ماذا؟

– سنذهب إلى هناك سيرا على الأقدام.

– إلى المدينة؟

نظرت إلى بنطلونها الحريري الأسود الخفيف وإلى حذائها مرتفع الكعبين فقال "ماكس" بينما كان يغادر السيارة ليمد إليها يده:

– المسافة ليست بعيدة. يمكننا الوصول إلى المطعم في وقت لا يذكر.

– لا يمكنني السير في هذا الطريق بهذين الكعبين.

اتجهت نظرات الرجل إلى الكعبين الرقيقين ومنهما إلى الرصيف المكسو بالثلوج وبدا التفهم واضحا على قسمات وجهه:

– يبدو الأمر خطيرا في الواقع.

– تعني أنه انتحاري.

فقال آخذا بيدها حتى يساعدها على الوصول إلى حافة المقعد:

– وبذلك لا يصبح لدينا سوى حل واحد.

ثم أدار ظهره نحوها قائلا بلهجة آمرة:

– انهضي وتشبثي بي.

– معذرة؟

لوى عنقه حتى يبتسم إليها من فوق كتفه.

– نسيت كيف يكون التسلق؟

فاجابته معترضة وهي تضحك من هول المفاجأة وعدم التصديق:

– من المستحيل أن تكون جادا فيما تقول. هل تعتزم حملي حتى هناك فوق ظهرك؟

– بالتأكيد. وإذا كان من شأن هذا أن يعذب ضميرك فلا بأس من أن تحمليني في طريق العودة.

– حسنا جدا.

وإذ أطاعت "كارين" أمره أحست بأنها في مثل عدم اكتراث طفلة في الثالثة من عمرها. لم تكن لتتصور منذ يومين ماضيين أنه من الممكن لها أن تتصرف على هذا النحو الأحمق لكنها منذ يومين لم تكن قد التقت بـ"ماكس" أو تعرفت به. بدا الأمر غريبا لها لكن منذ أن استيقظت من قيلولتها في ذراعيه. أحست وكأنها قد تخلصت من حمل طالما أثقل كاهلها دون أن تفطن إليه حتى رفعه عنها بفضل قبوله إياها على ما كانت عليه من حال وما ساعدها على أن تكونه بعد ذلك.

طوقت عنق "ماكس" بذراعيها بينما وضع هو ساعديه أسفل ركبتيها جاذبا إياها من فوق المقعد. صاحت:

– غير معقول! وسوف تتجمد قدماي.

صر الجليد تحت قدمي "ماكس" منذ الخطوات الأولى. قال:

– هذه هي النتيجة الحتمية لارتداء أحذية المدللات.

فقالت "كارين" معترضة بينما مدت نحو الأمام إحدى قدميها لتتأمل جمال حذائها بإعجاب:

– ليس حذاء مدللات.

www.elromancia.com

– ربما في المدينة، لكننا في الجبل. إلى أين تعتقدين أنه يمكنك الذهاب بمثل هذا الحذاء الأنيق؟

– لم تذكر نشرات الفندق أية احتمالات للقيام برحلات بالمدينة.

– حسنا تشبثي بي جيدا يا عزيزتي وإلا أفسدت هذه الرحلة!

قفز إلى الرصيف فانزلقت قدمه فوق الجليد المنصهر. أطلقت "كارين" صيحة ثاقبة وأحس "ماكس" بميل على أحد الجانبين قبل أن يستعيد توازنه تماما.

صاح قائد السيارة قائلا:

– سوف تحطم عظمك أيها المستهتر!

وأجابه "ماكس":

– كادت تخنقني قبل أن أفعل ذلك.

أرخت "كارين" تطويقها لعنقه على الفور فقال:

– أرى أنك قليلة الخبرة في هذا المجال. حسنا سوف أرفعك إلى أعلى قليلا؛ وبذلك يمكنك إرخاء تطويقك لي مع الاحتفاظ به من أجل التوازن فحسب؛ لأن ساقيك هما اللتان تحتفظان بك في موضعك فوق ظهري. اتفقنا؟

ثم رفعها بقدر أكبر فوق ظهره فتارجحت نحو الأمام إلى حد تلامس وجنتيهما. أحست نعومة بشرته على أثر حلاقة حديثة وتصاعدت إلى أنفها رائحة عطر ما بعد الحلاقة.

– هكذا. هذا أفضل.

فقالت:

– وأكثر دفئا.

لاحظت "كارين" من خلال نظرة جانبية مدى الإصرار الذي نطق به الشكل الجانبي لوجه الرجل. كان أنفه مستقيما، والفم ممتلئ الشفتين.

عندما تذكرت وقع ذلك الفم المتأجج بالمشاعر على شفتيها غلت الدماء في عروقها. مررت وجهها فوق قفا عنق "ماكس" ملتاعة لتقبيل وجنته.

– التصقي بي يا عزيزتي. سوف نصل إلى هناك خلال فترة وجيزة.

تبعت نظرة "ماكس" وبدت القرية المضاءة على مقربة منهما وكأنها بقعة

سياحية على الطراز السويسري. تناثرت أعمدة الإضاءة عتيقة الطراز على جانبي الأرصفة الخشبية لتسقط أشعة مصابيحها على واجهات المحلات التجارية، وأرسل البدر المكتمل ضياءه الفضي على المكان الذي لم يخل بانسجام صورته سوى بعض قليل من المصابيح النيون.

وقفت بعض المركبات تنتظر أمام المحلات التجارية، ومزقت صمت الهواء البارد بعض ضحكات المارة.

قالت "كارين" معلقة على هذا المشهد:

– كم أن هذا المكان جميل ومفعم بالحياة.

– رواده قليلون بالنسبة لعدد سكان المنطقة الذي يداني ألفا وخمسمائة نسمة والذي يصل إلى ثلاثة أو أربعة أمثاله مع حلول العطلات في أشهر الشتاء والصيف.

فقالت الفتاة بنبرة ساخرة:

– من يسمعك يعتقد أنه مصغ إلى تعليق من مسؤول شركة السياحة.

فقال "ماكس" قبل أن يتوقف أمام عدد من المحلات التجارية:

– اضحكي. أحب أن استقي أكبر قدر من المعلومات عن الأماكن التي أزورها، والآن تشبثي بي جيدا. يبدو هذا المكان خطيرا إلى حد ما.

– لا. اتركني أنزل إلى الأرض لن يمكنك...

– ماذا؟ تتشككين في قدراتي الرجولية؟

– آه. لا.. إنني أبعد ما يكون عن ذلك.

– إقرار متأخر بكل المقاييس.

ولم يترك لها سوى الوقت اللازم لإحكام تطويقها عنقه بذراعيها وبدأ يسير بحرص شديد. أغمضت عينيها مبتهجة ومعجبة بكل خطوة حذرة اتخذها. بلغا قدم الدرج بسلامة. فقال:

– سبق أن حذرتك من الشك في.

فأجابته ضاحكة:

– لكنني لم أشك فيك.

وصدقت القول؛ لأنها شعرت معه بالأمان الذي لم يتوفر لها من قبل.

قال "ماكس" بينما انعطف في أحد الشوارع:

www.elromancia.com

– هذا هو المطعم.

علت لافتة ذات أحرف مطلية يدويا بابا من الزجاج المدخن فتساءلت "كارين":

– "وكر الدببة"؟

– نعم. إنه هو. حمدا لله.

سألته بنبرة ساخرة:

– لماذا تقول ذلك؟ هل تعبت؟

– أنا؟ يمكنني أن أعود بك إلى الفندق وآتي مرة أخرى حاملا إياك فوق ظهري دون مجهود.

أراحت رأسها فوق كتف "ماكس"، وأخذت تدغدغ بأسنانها شحمة أذنه؛ فاقشعر بدن الرجل على نحو ملحوظ.

– قدري ذلك يا عزيزتي وسوف ترين بأية سرعة يمكنني أن أحملك إلى أعلى.

– آه... إنني...

توقف أمام المطعم فبادرته بقولها:

– هل تريد أن تدخل أم تفضل أن تعود إلى الفندق؟

– هل تمزحين؟ أكاد أموت جوعا.

حاولت أن تتجاهل واقع أنه لم يكن يعني الحاجة إلى الطعام فقد أثار دفء جسده فيها شهية إلى أشياء أخرى...

هبط إلى الأرض قليلا حتى يسهل لها الانزلاق إلى الأرض ثم أخذ ذراعها.

– لنسرع بالدخول قبل أن نتجمد تماما.

دفع الباب المصنوع من الزجاج المدخن فتبين أن "وكر الدببة" كان أكثر زحاما مما كان يتوقع. كانت ساعة تقديم العشاء قد انتهت منذ وقت طويل ومع ذلك كانت هناك عدة مجموعات من الرواد في انتظار إرشادهم إلى موائدهم.

ابتسم متوجها إلى مكتب الاستقبال حيث سألته المضيفة الحسناء ذات الشعر الأحمر:

– كم عددكم يا سيدي؟

– اثنان. وسبق لي الحجز باسم "أوكونر".

راجعت الفتاة قائمة الحجز بنظرة سريعة ثم قالت:

– إنني آسفة يا سيدي. اسمك ليس هنا.

فقال مرددا تحسبا لأن تكون الفتاة قد أخطأت الفهم:

– "أوكونر" "ماكس أوكونر". حجز لاثنين للساعة التاسعة.

توقف إصبع المضيفة في مكان ما عند نهاية القائمة وقالت وهي تبتسم أسفا:

– نعم. ها هو باسم "ماكس" لابد أن من تلقى رسالتك قد أخطأ في تسجيل الاسم.

فقال "ماكس" محاولا إخفاء ضيقه:

– مثل هذه الأشياء متوقعة دائما.

– لكنها نادرة الحدوث لدينا يا سيدي. أؤكد لك ذلك.

وتم توجيههما على الفور إلى أحد أكثر أركان المطعم هدوءا.

فقالت "كارين":

– مكان مناسب جدا.

فقال "ماكس" سعيدا بانطباعها عن المطعم:

– كامل للخصوصية.

تركها تكتشف بنفسها النواحي الجمالية من عروق ماخوذة من أشجار الصنوبر على الطراز الريفي وغيرها من الوسائل الزينية التي ميزت عصور "إنجلترا" القديمة، وتتامل أزياء الندلاء والنادلات المخصصة لذلك الموسم من العام. قالت:

– هذا المكان أقرب إلى كونه مقهى من نوع مميز لكنه ليس كاحد هذه المقاهي التي اعتاد والدي على ارتيادها.

– هل يعجبك؟

– نعم. إلى حد كبير.

فقال بعد ما تنهد ارتياحا:

– حمدا لله. ماذا سيكون شعورك لو أنني أخبرتك بانني مالك هذا

www.elromancia.com

الفصل الثامن

قالت "كارين" وهي تلتقط بشوكتها قطعة من الدجاج المعد باسلوب أهالي جزر "هاواي":

– لذيذ جدا. تريد أن تذوقه؟

– أعلم أنه لذيذ؛ لهذا السبب وضعت هذا الصنف على قائمة الطعام.

اتقدت عينا "كارين" الداكنتان عبثا:

– بالتأكيد. كنت قد نسيت.

يا إلهي! لماذا لا تريد أن تصدق أنه مالك "وكر الدببة".

قال على نحو مفاجئ:

– "كارين" إنني مالك هذا المطعم.

وضعت شوكتها دهشة لغضبه. تغضن جبينها:

– لماذا إذن لم تخبرني بذلك في أول مرة سألتك فيها عن عملك؟

– بدا لي ذلك تصرفا خبيثا آنذاك.

– حتى تستدرجني بقدر أكبر.

– أحب المناغشة. هل هي جريمة؟

ابتسمت واضعة يدها فوق يده فتلاحقت نبضاته.

قالت بنبرة بالغة الرقة:

– الجريمة ألا تمارسها. جبلت عيناك كي تكونا شيطانيتين وكذلك غمازتاك وابتسامتك الجريئة.

تلك الابتسامة التي أشرقت على وجه "ماكس" في تلك اللحظة بينما ذابت أصابعه في أصابع الفتاة مستمتعة بنعومتها الحريرية توّاقة إلى الامتداد إلى مواقع أخرى من جسدها...

اجتاحته موجة من رغبة عارمة. لماذا كل هذه الحيرة التي اعترته لأنها لم تأخذه مأخذ الجدية؟ منذ لحظة أن وقع بصره عليها أصاب الذعر هرموناته ولم يستطع التفكير في سواها. قال:

– تحبين ابتسامتي إذن؟

كان واثقا بأن استفساره هذا سوف يصيبها بالاضطراب لكنه لم يسعه

المطعم؟

فقالت مرددة على الفور:

– مالك ماذا؟

– هذا المقهى. ملك لي.

وابتسم في انتظار أن تبلغ تلك المعلومة ذهن صديقته. اتسعت عيناها لحظة ثم غضت الطرف وقد تغضنت زاويتا فمها برشاقة نادرة. قالت بنبرة مرحة:

– هذا واضح والدليل على ذلك أنهم قد اخطأوا تدوين اسمك بقائمة الحجز.

فقال "ماكس" ضاحكا:

– خطأ أحمق وكان من الممكن أن يحدث لأي إنسان.

فقالت "كارين" ضاحكة بنبرة حيرة:

– حتى لو كان مالك المكان؟

بدأ يشعر بالإحباط:

– ألا تصدقينني؟

قالت وقد بدت في نظرتها لمحة ضاحكة:

– لماذا لا أصدقك؟ ببساطة تامة لأنك مقيم في "چورچيا" وهذا المطعم في "كولورادو"؟ أم لمجرد أن هؤلاء الناس الذين من المفترض أن يكونوا بعض العاملين لديك لا يبدو عليهم أنهم يعرفونك من قريب أو من بعيد؟ لا. لا. لا أرى بحق ما الذي من الممكن أن يجعلني أشك فيما تقول.

سوى أن يطرحه. وقد أصابته هي أيضا بالاضطراب. وما كان من "كارين" إلا أن أجابته مبتسمة:

– وعينيك أيضا.

كادت هي الأخرى ألا تصدق أنها هي التي تتصرف هكذا؛ إذ بدت وكأنها فتاة أخرى في حضور "ماكس". لا شيء مثل النظر إلى شفتيه أثار تلك الأحاسيس التي لم يكن لها عهد بها؛ فقد كشف فيها عن أحاسيس خفية وعن امرأة راغبة... وبدأت نظراتها تشرد بعيدا فقال "ماكس" مقطبا:

– هل غيرت رأيك؟

– غيرت رأيي؟

– في شأن عيني وابتسامتي.

– لا بالتأكيد.

فقال بإصرار بينما كان يعبث بأصابعها:

– أراك مقطبة حاجبيك. ماذا بك؟

تنهدت وهزت رأسها ضيقا من ذاتها؛ فلم تكن راغبة في إفساد الأمسية بالتفكير في مشكلاتها. قالت مصارحة إياه:

– لقد شردت أفكاري.

– بسبب "بريدجيت"؟

فقالت بعد ضحكة دهشة:

– لا. واقع الأمر أنني لم أفكر فيها منذ...

– منذ أن وقعت في سحر رجولتي؟

– نعم. شيء من هذا القبيل.

– حسنا. دعيني أبهرك بقدر أكبر.

ثم تحولت نظراته الضاحكة إلى الجدية قبل أن يقول:

– اروي كل شيء للطبيب "أوكونر".

– ليس ثمة ما يروى. إنه أمر... متعلق بالعمل.

رفع الرجل عينيه نحو السماء:

– حسنا. لا ينبغي أن تخفي عني أي شيء.

– لست أنا من أخفى معلومات عن نفسه...

– بل مزيد من الأسرار... وقد اعترفت بذلك. والآن هذا دورك.

وإن لم تكن "كارين" واثقة تماما بأنها قد صدقته فيما يتعلق بموضوع "وكر الدببة" إلا أنها كانت تعلم في مقابل ذلك أنه كان مخلصا في رغبته في أن يعلم ما الذي كان يشغل بالها.

– لست قادرة على اتخاذ قرار.

– وماذا أيضا؟

– هذا هو كل ما في الأمر. عجز عن اتخاذ قرار.

– لننظر في هذا الأمر. أنت التي كان بمقدورك أن تعلمي ما تريدين أن تكوني وأنت بعد في الثالثة عشرة من الممكن أن تكوني عاجزة عن اتخاذ قرار؟

– أعلم أن هذا غير متسق مع شخصيتي لكن منذ أن أعلنتني "بريدجيت" بأنها ستكف عن مواصلة دراستها الجامعية، وأنها ستترك البيت لتستقل بمعيشتها بدا لي وكأنه لن يمكنني بعد ذلك ترتيب أولوياتي.

– لا أستطيع أن أفهم شيئا. اعتقدت أن لا صلة لـ"بريدجيت" بهذا الموضوع.

– لا. ليست لها صلة مباشرة به... الموضوع ببساطة هو أنه قد عرض علي العمل بعيادة خاصة و... وترددت. لا يمكنني اتخاذ قرار في هذا الشأن.

– ربما لا تتوفر لديك الرغبة في العمل بعيادة خصوصية.

– هذه هي المشكلة على وجه التحديد. كان من الواجب أن أرحب بمثل هذه الفرصة؛ لأنها تنطوي على عدد ساعات العمل المعتادة وعلى حياة طبيعية لكنني لا أستطيع أن أتخذ مثل هذا القرار الآن.

– ربما لا يكون أسلوب العمل هذا مناسبا لك؟

كانت جميع أفكار "ماكس" وتبريراته منطقية مثل تفكيرها هي ذاتها في هذا المجال لكن المنطق وحده لم يكن كافيا.

– لا أدري بحق. كل شيء قد تغير دفعة واحدة. رحيل "بريدجيت"

www.elromancia.com

وهذا العرض للعمل الخاص بي. أشعر بأن كل شيء يهوي من حولي ولا يمكنني السيطرة على أي شيء منه.

دفعها التوتر إلى أن تضغط على يد "ماكس" بشدة وجدت راحة في قوتهما. أحبت يديه.. أحبت شكلهما وطولهما والتلامس الذي مارستاه عليها.

وضغط "ماكس" بدوره على أصابعها الرقيقة.

– ربما كنت متخوفة.

سألته رافعة بصرها إليه:

– مم؟

– من التغيير أو الفشل. من الصعب أحيانا اتخاذ قرار بالغوص في ظل الجهل بعمق المياه.

أحست "كارين" بالدموع تلدغ عينيها ومع ذلك قررت ألا تبكي لمجرد ملاحظة بسيطة أصابت منها وترا حساسا على الرغم من محاولتها نفيها. لم تكن راغبة في أن تبدو ضعيفة وإن كانت متخوفة تماما في أعماق نفسها من فكرة احتمال أن تكون كذلك. قررت أن تواجه هذا الإحساس بقولها وهي تبتسم:

– أراهن على أنك تغوص دون أن تأبه بالعمق.

فأجابها "ماكس" ملقيا بنظرة فاحصة على التقطيب ما بين عينيها:

– بل آبه به. ودائما ما ألقي لذلك بالا.

تركت نظرته في مرورها على وجه الفتاة ما يشبه مسارا ملتهبا غير مرئي.

– ولي الرغبة في الغوص فورا. معك.

خفق قلب "كارين" بشدة جعلتها تتساءل عما إذا كان قد خفق بحق من قبل بينما استطرد "ماكس" قائلا:

– لكن بعض الأمور تتطلب وقتا كما لو كانت مقدرة.

قالت بصوت شابته رقة بالغة لم يمكنها السيطرة عليها:

– ثقتك بالغة.

ظهرت غمازة جميلة على كل من جانبي فم "ماكس".

– ليست ثقة يا عزيزتي بل نوع من الأمل.

– أمل محمل بالتأكيد إذن.

– هيه.. لو لم يكن لي هذا لوجدتني ممددا أسفل إحدى المركبات بدلا من أن أكون جالسا بجوارك فوق أحد مقاعدها. أو متصورا نفسي مالكا لمقهى أو مقهيين وهذا كان أقصى ما يمكنني فعله. أو أن أعتقد أن هناك المزيد وأن لدي النية لأن أحصل على ذلك المزيد.

سألته "كارين" وقد هالتها نبرة الإقناع التي شابت صوته:

– كيف ذلك؟

– إنني راغب في شيء مختلف. شيء أكثر رفاهية.

– معذرة؟

بدا الابتهاج واضحا في نظرة "ماكس" مضيفا إلى حيوية وجهه المزيد من الحماس:

– أريد له أن يكون راقيا. في وسط رفيع المستوى طعام متميز من إعداد طاه ماهر واسع الخبرة. شيئا مناسبا للطبقات الراقية يدر العائد اللائق بمثل هذه الترتيبات.

– تصور جذاب للغاية لكن ألا ينطوي على قدر من المخاطرة؟

– هناك قدر من المخاطرة في كل شيء لكن بالاهتداء إلى المنطقة المناسبة وبقدر من الجهد ينجح المشروع. أعلم أنه سوف ينجح.

تأثرت بحماسه فسألته:

– وهل اهتديت إلى تلك المنطقة؟

– ليس بعد. لم نهتد على الأقل إلى منطقة تحوز موافقتنا جميعا.

– موافقتكم؟

– أنا والأصدقاء.

قالت "كارين" مرددة في شك:

– الأصدقاء؟

– الشركاء "فريد" و"تيري" و"آرثر" و...

فقالت:

– و"سكيب".

www.elromancia.com

وضحت الصورة: يفكر "ماكس" في مشروعات عملاقة ولا يتوفر لديه رأس المال الكافي، ويعول على هؤلاء المفترض أنهم أصدقاؤه لتمويل حصصهم في المشروع.

هزت رأسها رفضا لهذه الفكرة.

– ما كنت أحب أن أثبط عزيمتك لكن هل تعتقد حقا أنه يمكنك الاعتماد على هؤلاء الأشخاص؟

– "كارين".. أعلم أنك غير راضية عنهم على الإطلاق لكنهم شبان ممتازون.

– لكنهم ليسوا أهلا لتحمل المسؤولية. انظر كيف تخلوا عنك بالأمس واليوم...

– كانوا يجدون حوارا مع "لوسي".

– بأي هدف؟ لمجرد متعة...

– للحصول على معلومات عن الفندق.

فقالت وقد هالتها المفاجأة:

– ماذا؟

– لا أمزح. حضرنا إلى هنا لدراسة جدوى تحويل محتمل لهذا الفندق. قد لا تكونين قد لاحظت أنه لا يعمل بالكفاءة اللازمة المفترضة. وطالما حلم صديقي "فريد" بإقامة مشروع في الجبل؛ لذلك عندما فاتحته في أمر هذا الـ...

– وما صفته بالنسبة لهذا المطعم؟

أمال "ماكس" رأسه على نحو مستفسر فاستطردت قائلة:

– قلت: إنهم شركاؤك. هل هذا يعني أن "فريد" يمتلك نصيبا في "وكر الدببة"؟

– في الواقع لا. له متأخرات في عمليات في البترول، وكانت أرصدته مجمدة بالكامل.

– والآخرون؟ هل كانوا أيضا مفتقرين إلى الأموال؟

فقال "ماكس" معترفا على مضض:

– بشكل أو بآخر. إذ كان "سكيب" في ذات عمليات "فريد".

– وبذلك يكون لـ"آرثر" و"تيري" نصيبان معك في "وكر الدببة"؟

– ليس بالضبط.

رفعت الفتاة حاجبا. فقال متنهدا:

– أقل بقليل من النصيب.

فقالت بنبرة مثقلة بالاضطراب:

– أووه يا "ماكس". ألا تفهمني؟ لا أهمية عندي لأن تكون مالكا "وكر الدببة" كله أو جزءا منه أو ألا تكون مالكا أي جزء منه. ما يقلقني هو أن أرى أموالك معتمدة على أناس ليسوا أهلا للثقة.

كان يمكنه بالتأكيد أن يشرح الوضع لها.. وأن يحدثها عن مصانع المشروبات الثلاثة التي يمتلكها في "أتلانتا" والمصنعين الآخرين اللذين في "دالاس" والمصانع الأخرى التي في "هاوستون" و"برمنجهام".. وأن يخبرها بأنه يسمح لأصدقائه في تلك الفترة بمشاركته في أعماله؛ لأنهم هم الذين سبق لهم مساعدته في تنفيذ مشروعاته لكن ذلك كان بمثابة إقناعها في تلك اللحظة بينما أن الأمر الأهم له كان أن تتبين الأهمية الحقيقية التي تمثلها بالنسبة إليه؛ لهذا قال:

– حسنا؛ لن أنسى تحذيرك لي بشرط ألا تنسي أيضا أن الانطباعات الأولى ليست عادلة دائما.

فقالت "كارين" مبتسمة:

– هل تعني بذلك أنك لست بحق ذلك الفاسق الذي يقضي الليالي في اللهو ولا يستسلم للنوم إلا في مطلع النهار؟

– لا أفعل هذا سوى في يومي الجمعة الثاني والثالث من كل شهر.

– واليوم هو الجمعة الثاني من الشهر.

وبحركة لا تقاوم بحاجبيه تحول إلى "جروشوماركس" في صورة أقرب إلى الواقع من الطبيعة.

– والبدر في تمامه وقد بدأ الليل وحانت لحظة اتخاذنا الخطوة التالية.

قالت وقلبها يخفق بشدة:

– الخطوة التالية؟

وجاءت إجابة "ماكس" في صورة غمزة بعينه وطلبه فاتورة الحساب.

www.elromancia.com

سألها باسطا يده نحوها:

– مستعدة؟

وعندما شابك أصابعه في أصابعها غشيها تصور هذه الأصابع سابحة فوق جسدها العاري. المرحلة التالية. يا إلهي!

– "كارين"؟

انتبهت الفتاة من حلمها:

– حسنا... يعتمد كل شيء على سبب إحساسي بأنني مستعدة؟

فقال مبتسما:

– ثقي بي يا عزيزتي. سوف تسعدين.

عاونها على ارتداء معطفها. ما إن غادرا باب المطعم حتى احتوتهما برودة الجو القارسة. سارا ببطء أمام واجهات المتاجر الزجاجية المعتمة. اقشعر بدنها لكن ليس بسبب البرد القارس. هل كانت مستعدة لهذه الخطوة التالية؟ ظل هذا السؤال ملحا عليها. نظرت إلى رفيقها الذي بدا قوي البنية ظالم الجاذبية تحت ضوء القمر فالتهبت أعصابها بابتهاج مكبوح.

– سيارتك الفاخرة في انتظارك يا سيدتي.

تبعت "كارين" بنظراتها الاتجاه الذي أشار إليه ذراع "ماكس" بأحد الممرات. رأت عربة أنيقة عتيقة الطراز يجرها حصان بني واحد منتظر أسفل أحد أعمدة الإضاءة. ارتدى سائقها زي إحدى شخصيات روايات "ديكنز" ووقف يمسح ظهر الحصان العريض.

اجتذب هذا المنظر ابتسامة ظهرت على وجه الفتاة.

– "ماكس"؟ هل هذه من أجلنا؟

وعندما أومأ لها برأسه أحست برغبة في أن تقطع المسافة إلى العربة عدوا. سألت وقد أوقفها "ماكس" بحزم:

– ما رأيك في أن نقوم بجولة قصيرة بالعربة قبل أن يعيدنا إلى الفندق؟

فقال معلقا وعيناه تنطقان سعادة وهو يشير إلى الجليد الفاصل بينهما وبين المركبة قبل أن يحملها في ذراعيه:

– هل من الحكمة أن تتوجهي إلى هناك بدون مساعدة مني؟ لا أريد

لأصابع قدميك الجميلتين أن تتجمد.

ضحكت تاركة وجنتها تستقر فوق كتف "ماكس". قالت:

– لقد رتبت لأشياء كثيرة هذا المساء. عشاء بالمدينة، وسيارة لتحملنا إلى المطعم، وعربة أسطورية لتعيدنا...

– أمسية استثنائية من أجل فتاة متميزة.

– استثنائية؟

– هذه هي الليلة الثالثة لبدء تعارفنا وأردت الاحتفال بها.

حدد ضوء القمر ملامح وجه "ماكس" بوضوح تام كما لو كان منحوتا بحجر جرانيتي. علمت "كارين" من التحول المفاجئ لتعبيراته من الجدية إلى الاسترخاء أنه قد بدأ يبتسم.

– لم يكن هذا هو الأسلوب الذي أفضل الاحتفال به بهذه المناسبة لكن ينبغي أن أقنع بما لدي.

– و... ما هو الأسلوب الذي كنت تفضله؟

فقال وهو ينظر إليها:

– أن أكون معك في الفراش.

فغرت "كارين" فاها لكنها لم تستطع النطق باي صوت كان.

– لقد أجبت على استفسارك. لكن لا داعي لأن تقلقي يا عزيزتي. أعلم تمام العلم أنه لا يمكنني دائما أن أحصل على ما أتوق إليه. ليس على الفور.

سار حتى العربة في صمت لم يمزقه سوى صرير الجليد تحت قدميه... ودقات قلب الفتاة التي كانت واثقة بأنه باستطاعته أيضا سماعها. هل كانت مستعدة؟ قال جسدها "نعم" وقال عقلها "لا" وتارجح قلبها ما بين البهجة والأسى.

– مساء الخير يا "ماكس" ما الذي أصابك يا بني؟

بدأت "كارين" تضحك عندما سمعت صوت السائق وقال "ماكس":

– مساء الخير يا "ڤيكو". أرجو ألا تكون قد انتظرت طويلا.

وضع حمله الرقيق فوق المقعد الأمامي للعربة ثم رأته ياخذ اللجام من يد "ڤيكو" قبل أن يقفز إلى جوارها.

www.elromancia.com

– ناولني هذا الدثار من فضلك.

بحث "فيكو" بين محتويات المقعد الخلفي وناوله دثارا صوفيا دثر به الفتاة بحرص ثم قال:

– سنكون بالفندق.

وانطلقت العربة بهما على أثر اهتزازة طفيفة للجام.

– لا تتأخر جدا.. هيه؟ ينبغي أن أعود قبل مطلع الفجر.

– لا تقلق ستحرص هذه الفتاة على العودة مبكرة. إنها صوت العقل. انتظرني في حجرتي بالفندق.

صاح الرجل من خلفهما ثانية:

– تعرف كيفية القيادة.

فقال "ماكس":

– "فيكو" شخص ذو اعتبار.

وأجابته ابتسامة "كارين" بينما استطرد قائلا:

– رجل ماهر. عرفته منذ بضع سنوات عندما أتيت إلى هنا لإنجاز عملية صغيرة.

ثم جذب اللجام، كي يرغم الجواد على الإسراع في السير.

طوقت ذراعه بذراعها واقتربت منه بقدر أكبر، توهج الجليد في ضوء القمر مثل آلاف القطع الماسية.

قالت رافعة وجهها نحو القمر والنجوم بينما أسرعت العربة:

– كم أن هذا المشهد جميل!

لم تبلغ أحلام طفولتها قط هذا الكمال الذي بدأت حياتها تتحول إليه.. حيث انزلقت إلى عالم أسطوري بصحبة أمير جميل...

ثم احتقن حلقها عندما تبينت أن هذه السعادة التي تعيشها ليست إلا حالة مصطنعة أشبه بحلم لابد أن تفيق منه بانتهاء عطلتها عندما تعود إلى عالمها المعتاد بأروقة المستشفى وشطائر الكافيتريا.

تخلت الفتاة عن التفكير في هذا الأمر متنهدة من أعماقها. دوى وقع سنابك الجواد فوق الجليد المتراكم بضوضاء مكبوحة.

مد "ماكس" ذراعا طوق كتفيها بها جاذبا إياها أقرب إليه، وعندما أحس

بارتعادها– بفعل السعادة التي احتوتها– سألها:

– هل تشعرين بالبرد؟

– إطلاقا. انظر!

وأشارت بأصبعها إلى كوخ صغير قابع عند قدم بعض أشجار الصنوبر العملاقة.

أجابها "ماكس" بقوله:

– هذا هو الهدف من جولتنا: مكان محدود يمكننا التوقف فيه للراحة والانتعاش قبل أن نواصل السير إلى الفندق.

وأوقف العربة أمام الكوخ، وكان المشهد خلابا. بدت أضواء "دينينج" من أسفل وكأنها غمزات عيون ومن فوقهما سهر القمر ليضيء الطريق المتعرج بين الأشجار.

قالت "كارين":

– يخيل إلي أننا في عالم من الكرات الزجاجية التي تدوّم بنا حتى تسقط الجليد.

دقق النظر إليها قبل أن يجيب بقوله:

– أنت التي تدوّمين بي كلية دونما حاجة إلى أن أكون بداخل كرة زجاجية.

وبقفزة مفاجئة غادر العربة وتوجه إليها؛ كي يساعدها على الهبوط منها ثم قال:

– هيا بنا إلى الداخل.

استقبلتهما مدفأة كبيرة مملوءة بالجمرات، ودثار صوفي كسا أرضية المكان الخشبية، وزجاجة مشروب مثلجة إضافة إلى ترموس وكوبين وقدحين من حول وردة طويلة الفرع. لم تصدق الفتاة ما كان أمام عينيها: اكتشفت بأحد أركان الحجرة الصغيرة وجود مصباح كيروسين انبعثت منه الإضاءة الوحيدة بالمكان. أمسكت بالوردة لامسة أوراقها برقة بالغة.

– كيف... كيف فعلت كل هذا؟

– "فيكو" الذي رتب كل شيء. كنت أريد أمسية هادئة مناسبة. لا تنسي أننا نحتفل بمناسبة معينة.

جذبها إليه فوق الرقعة المغطاة بالدثار بالقرب من المدفأة ثم قال وهو يفتح غطاء "الترموس":

– سوف نفتح زجاجة المشروب بعد ما تشعرين بالدفء. رأيت أنه من الأنسب أن نبدأ بمشروب الشوكولاتة الساخن.

– إنك تذهلني. متى وجدت الوقت الكافي لتهيئ كل هذا؟

– بينما كنت تتأنقين. باستطاعة المرء أن يفعل الكثير خلال ساعتين.

– لم أقض هذا الوقت في التأنق لكنني قمت بغسل شعري وتجفيفه.

– حقيقة؟ لابد أن يكون الوقوف تحت وابل الماء مدة ساعتين متعبا جدا. أليس كذلك؟

– ينبغي عليك أن تجربي الاستحمام بالحوض بدلا من الوقوف تحت وابل الماء.

– فكرة لا بأس بها. هل أنت أكثر دفئا الآن؟

نعم وبالتأكيد وبفعل كلامه أكثر منه بتأثير المشروب الساخن الذي تناولته. أومأت برأسها واضعة قدحها على الأرض.

انحنى "ماكس" من فوقها حتى يساعدها على خلع معطفها فتسلل أريج عطره الرجولي إلى أنفها. رفعت عينيها نحوه... وبدا العالم كله وكأنه يدوّم من حولها.

تركت أنفاس الرجل دفئها فوق شفتي "كارين" وقتم لون عينيه البني. همس وهو يعيدها إلى ذراعيه:

– لا يمكنني النظر إليك دون أن أشتهيك.

وكانت قبلته معبرة عن عميق شوقه إليها.. من ذلك النوع الذي يلتهم كل ما يعترض طريقه.

وتبدد ما كان متبقيا لدى "كارين" من مقاومة. التهبت مشاعرها مثل حزمة من أعواد رفيعة أمضت سنوات الوحدة تجفيفها. تعجله فمها وبداها وتنهدها طلبا للمزيد ومنحا للمزيد. لم يصبح ما بينهما إغواء بل نشوة وفرحة وصدق مشاعر.

مدت يديها لتتشبث بطيات قميص "ماكس" بينما مرر هو يديه فوق ظهرها في موجات عناق متواصل بحيث نفذ دفؤهما إليها من خلال

الأنسجة الصوفية والحريرية التي ارتدتها. خفق قلباهما بذات الإيقاع العنيف. اشتهى "ماكس" أن يحس نبض الفتاة في عنقها الجميل ثم امتدت أصابعه إلى فتحة عنق قميصها الحريري.

– يا لرقة بشرتك!

ثم نظر في عينيها:

– "كارين".. هل أنت مدركة ما نحن بصدده؟ لو واصلنا السعي فلن يكون أمامنا سبيل إلى التراجع.

حنت رأسها تحسبا لأن تتسلل قوة أحاسيسها إلى صوتها. كانت مدركة أن ما يجري بينهما مرجعه رغبة حقيقية مترتبة على تحول حدث بداخلها وعلى اهتياج وتعطش.. وإحساس بخواء لا يمكن لسوى "ماكس" أن يغمره.

أخذ ذقنها في راحته ثم سألها لامسا شفتيها بشفتيه:

– هل أنت واثقة بأن هذا ما تريدينه يا عزيزتي؟ تأكدي أولا يا حبيبتي.

تنهدت قائلة:

– نعم. تمام الثقة.

لأنه كيف كان يمكنها أن تنكر ذلك أو تنفيه وكيانها بأسره يصيح مطالبا. كان الوضع مفزعا لكن خارج نطاق الإنكار.

وقدم لها بعد وجبة دسمة من المشاعر الفياضة ووصلة من التعبير عن الحب المتأجج ما شغل خواءها وأشبع نفسه.

تلقته هي بامتنان المتعطش، وأعطت في مقابله بسخاء ساعد على التحامهما في تلك الآفاق البعيدة التي سمت المشاعر الصادقة بهما إليها ولم يبلغها سواهما.

www.elromancia.com

الفصل التاسع

تقلب "ماكس" لينام على ظهره جاذبا "كارين" معه في ذراعيه ومحتفظا بها حتى بدأت تستعيد إدراكها بالعالم من حولها. أخذ صدر "ماكس" يرتفع وينخفض أسفل وجنتها. كان إيقاع تنفسه مهدئا للأعصاب مثله في ذلك مثل الضوء الخافت المنبعث من المصباح.

طافت أنظار "كارين" بارجاء الحجرة مدفوعة برغبة في أن تسجل كل ما يتعلق بتلك الليلة حتى نسيج العنكبوت الذي امتد بين جدار وآخر.

تنهدت ملتصقة بـ"ماكس" بقدر أكبر. بلغ كل ما كان بينهما حد الكمال. حتى برودة الجو التي كانت قد بدأت تتسلل إلى جسدها كانت في موضعها بحيث حدث بيد حانية إلى أن تتلمسها جاذبة الدثار بإحكام فوقهما قبل أن تسمع صوت "ماكس" المتسائل:

– "كارين"؟ عزيزتي.. هل تشعرين ببرد؟ لماذا لم تخبريني؟

– إنني بخير.

فقال بصوت شابته نبرة شقاوة:

– تماما كما قلت لنفسي في أول مرة رأيتك فيها. رأيت أنك قوية الإرادة صلبة العود.

– بالتأكيد. إذ كنت مرتدية ثوب نومي المصنوع من نسيج الفانلة وجوربي الصوفي الثقيل.

– كانت ملابسك فضفاضة لكن ما كان وراءها هو الذي أثار اهتمامي.

ثم أشارت سبابته إلى صدرها تأكيدا لوجهة نظره.

– أريد أن أصدق ما تقول.

– لكن ما كان بالداخل لم يكن ليجذب لو لم أحب ما كان خارج الثياب.

– المعطف؟

تنهد بإحباط:

– رأسك يا عزيزتي. رأسك الجميل بذلك الفم المغري بالالتهام وتلك العينين الأشبهين بالصواعق.

– هل... هل أعجبك فمي؟

قال قبل أن يطبع على فمها قبلة:

– أحب فمك. وأحب عينيك.

ثم قبلهما الواحد تلو الأخرى.

– وأحب كل شيء فيك.

وقبل عنقها وصدرها بحرارة أثارتها.

أرادت له أن يعلم مدى سعادتها بما يفعله بها. أحبت فمه وأحبت يديه، وأحبت لمسها لها. أحبت عطره وعذوبة همساته في أذنيها وأحبت رقته وتفهمه... يا إلهي! توترت "كارين". و... ماذا لو كانت قد وقعت في غرامه؟

سألها "ماكس" قلقا:

– ماذا حدث؟ هل سببت لك أي ألم؟

وجهت إلى عينيه البنيتين نظرات محذرة هل من الممكن أن تكون قد وقعت في غرامه؟

– "كارين"؟ عزيزتي؟

– لا. لا. لا بالتأكيد.

– ماذا إذن؟

فقالت كذبا تماشيا لأن تصارحه بالحقيقة:

– الأرضية الخشبية... إنها صلبة...

فقال "ماكس" متألما وقد تقلب لينام على ظهره ويجذبها إلى ما فوق صدره ويدلك لها ظهرها:

– آه. لا. هل لايزال يؤلمك يا عزيزتي؟

هزت رأسها نفيا. لم تزدها جهوده المخلصة لإسعادها سوى ألم. كم كانت غير متعقلة بأن تقع– وللمرة الأولى في حياتها– في غرام رجل لم تعرفه إلا منذ ثلاثة أيام. رجل تعلم جيدا أنه لن يكون أكثر جدية فيما يختص بها من تعامله مع العابه أو مع غرزه الجراحية الملعونة.

كبحت دمعة؛ لأنها قررت ألا تفشي همومها على هذا النحو إذ كانت الوحيدة الملومة على ما حدث. لم يكن بيد "ماكس" أدنى حيلة إزاء كونه

رقيقا وجميلا ومذهلا؛ لأن تلك كانت طبيعته أما هي فكانت راغبة متهافتة مثل إنسان انتابه الاهتياج، ولم تكن هذه طبيعتها ولم تكن كذلك أبدا. قررت أن تستعيد وقارها منذ لحظة أن تطأ قدمها "سانت لويس" ثانية وتصبح الطبيبة "كارين ديفيز" التي يحترمها الجميع.

– عزيزتي هل تبكين أم ماذا؟

أملت "كارين" على نفسها الابتسام في محاولة لأن تثبت لنفسها كما له أن لا شيء يزعج أفكارها.

– لا. إنني أفكر وحسب. لم نتناول مشروبنا بعد.

– ولن نتناوله.

– لكن...

– ليس قبل أن نعود إلى الفندق ونجد لنا فراشا أكثر ليونة يستقبلنا.

ثم نهض جاعلا إياها تجلس إلى جواره في ذات اللحظة.

– يستقبلنا؟

– هذا هو أملي يا عزيزتي... مجرد أمل.

حدثت "كارين" نفسها في صمت فوق فراش "ماكس" بانه لو كانت جميع الآمال تتحقق بمثل سهولة تحقق آمال "ماكس" لعرفت الدنيا بأسرها مذاق السلام العالمي.

كانت تعتزم لدى عودتهما إلى الفندق أن تلقي عليه تحية المساء وتعود إلى حجرتها؛ كي تتمكن من الاختلاء بنفسها والتفكير بعض الوقت؛ لأنها كانت بحاجة إلى ذلك، لكنه كان من قبلها في المصعد ذات مرة وفي الممر مرة أخرى ثم... وكانت تلك الحاجة إلى التفكير قد أرجئت إلى مرحلة لاحقة.

كان ينبغي أن تذكر نفسها بأن أحدا لم يفلح قط في أن يجعلها تنسى إلى هذا الحد؛ حتى ذلك الرجل الآخر الذي كانت قد سمحت له باقتحام حياتها ثم فراشها. كانت قد وجدت فيه كل ما تصورت أنها تريده لكنها لم تحبه.

رأت "ماكس" واقفا أمام المنضدة الجانبية وعضلات ظهره العاري مشدودة بينما كان ينزع غطاء زجاجة المشروب. اعتصر قلبها خفقان

شديد مخيف لذيذ. لم تكن راغبة في أن تحبه. لم تشك في ذلك قط ولكن...

قال "ماكس":

– ها قد فتحتها.

ثم لحق بها فوق الفراش وبيديه الزجاجة والكأسان.

صرت الحشية تحت ثقله. جذبت الغطاء مثبتة حافته العليا تحت إبطيها.

– لا يا عزيزتي. لا تتدثري هكذا.. يمكننا أن نفعل أشياء كثيرة باستعمال هذا المشروب.

– آسفة. ليست لدي أدنى رغبة في أن يجري على أي مكان مني سوى فمي.

سألها "ماكس" متحيرا:

– مارست هذه اللعبة من قبل؟

– لا. لكنني أتصورها فقط؛ لأنني قد بدأت أعرفك.

– حمدا لله. لأن ممارستك هذه اللعبة مع غيري كانت ستغضبني.

ثم ملأ الكأسين.

دهشت "كارين" إزاء قوله ذلك الذي أسعدها أيضا؛ فلم تتصور قط أنه من الممكن أن يكون من تلك الفئة التي تشعر بهذه الغيرة الشديدة.

– لنشرب نخب أيامنا الثلاثة معا يا عزيزتي.

ابتسمت "كارين" استعدادا لاحتساء ما بكأسها لكنه منعها عن ذلك ثم وضع الزجاجة عند قدم الفراش؛ حتى يتمكن من أن يمسك بذراع الفتاة ثم قال:

– حسنا هذا أفضل.

رفعا كأسيهما وكل منهما ينظر إلى عيني الآخر وما إن كاد السائل يبلل شفتي "كارين" حتى دفعها "ماكس" برفق مصادفة فسقط بعض المشروب فوق صدرها. صاحت لشدة برودة المشروب المثلج:

– "ماكس"!

وتراقصت غمازتا "ماكس" ابتهاجا وهو يقول:

– يا إلهي. كيف حدث هذا؟

www.elromancia.com

فصاحت:

– أيها الوغد!

ثم أخذت تجفف السائل باستخدام أغطية الفراش.

– لا. لا. هذا تبذير.

انحنى من فوقها لمعاونتها لكنها دفعت رأسه بعيدا عنها ثم وبدون تفكير ألقت بما كان متبقيا بكأسها إلى صدره العاري.

– آخ! إنه مثلج!

دفعتها شدة ذعره إلى الضحك.

– هل رأيت كيف حدث هذا؟

وضع "ماكس" كأسه بعناية فوق المنضدة وأشار إليها بسبابته:

– تعالي إلى هنا أيتها الشيطانة الصغيرة.

– أنت الذي سعيت إلى ذلك يا "ماكس". أنت الذي جلبت على نفسك المتاعب.

– نعم يا سيدتي. أنا الذي جلبتها على نفسي، والآن أريد أن أشكرك على هذا الدرس الذي أستحقه بجدارة.

هزت رأسها مبتعدة عنه.

أوما برأسه متقدما منها وشعاع مجوني يترافص في عينيه حمت نفسها منه بتحريك ساقيها على نحو مستمر مما جعله ينفجر ضاحكا.

– "كارين".. كفي عن هذا العبث. أرجوك.

ثم ضمها إلى صدره وقد أشرق وجهه بابتسامة عريضة:

– يا إلهي كم أحبك أيتها المجنونة!

قالت ضاحكة:

– ليس هنا بهذه الحجرة سوى مرشح واحد لمستشفى الأمراض العقلية وهو أنت وليس أنا.

– إذا أخذت إلى هناك فستكونين معي أيضا؛ لأنك مصابة بذات دائي.

فقالت نافية:

– ليس هذا صحيحا.

– آه. آه.. السيدة تعترض بكل حماس. وهذه إحدى العلامات.

نظرت إليه فوجدت أن الموقف قد توتر على نحو غريب. كانت تأمل طوال حياتها أن تكون شخصية مختلفة. وظلت طوال حياتها تصارع من أجل الوفاء بهذا النذر لكنها رضيت أخيرا بواقع أنها لن تتمتع قط بتلك الرفاهية وذلك الرخاء ومثل ذلك من تلك الأمور التي كانت تعجبها في الغير. ربما أنها قد تخلت عن قدر من تحفظها المعتاد خلال هذه الأيام الثلاثة. حسنا لا بأس من ذلك.. وإن كان القدر كبيرا لكن "ماكس" كان السبب الوحيد لذلك. أزعجتها فكرة أنه ربما قد راقت له عندما رآها على هذا الاختلاف الذي جعل منها فتاة أخرى لاتضاهيها تماما.

– تعلم.. لست في المعتاد...

فقال مقبلا شفتيها:

– متسيبة؟

وللمرة الأولى لم تكن "كارين" راغبة في أن تقبله.. لأنها كانت تريده أن يصغي إليها؛ لهذا قالت بإصرار:

– لست على هذه الصورة.

– عزيزتي.. إنك الفتاة الأكثر تسيبا والأكثر عطاء التي التقيت بها طوال حياتي.

– لا. إطلاقا. والسبب الوحيد الذي دفعني إلى التصرف بمثل هذه الحماقة هو... هو...

فقال "ماكس" بنبرة مشاكسة:

– تضارعينني حماقة يا عزيزتي.

فقالت محررة يديها من قبضته:

– "ماكس" لست حمقاء ولا متسيبة. وتعلم ذلك جيدا.

ابتعد عنها بمقدار بضعة سنتيمترات؛ إذ تبين أخيرا جدية قولها امتدت سبابته تمسح دمعة من فوق وجنة الفتاة. أصابته رؤيتها باضطراب شديد فقال:

– عزيزتي.. ما الذي فعلته لك؟

أجابته بصوت مرتعش:

– لا تريد أن تصغي إلي. ولا تسمع ما أقوله لك.

www.elromancia.com

أحس "ماكس" بالضياع:

– ما الذي لم أسمعه؟ إنني لا أفهم ما تعنين.

سالت دمعة أخرى فوق وجنتها جففتها على الفور بغضب:

– لا. في الواقع. إنك لا تفهم أنك تتحدث عن شخصية أخرى غيري.

– لم أتحدث عن أي أحد غيرك يا "كارين". معك وحدك وجدت متعتي في الحب. وفي غرامك أنت وقعت.

غيم عيني الفتاة سيل من الدموع. قالت ناشجة:

– من غير الممكن أن تحبني! لأنك لا تعرفني.

بدا له أنه قد بدأ يتفهم ما كانت تعنيه:

– أعلم أننا لم نلتق إلا منذ ثلاثة أيام يا عزيزتي لكننا لم نفترق خلالها لحظة واحدة وهذا وقت يفوق بكثير المدة التي يقضيها أناس كثيرون تعارفوا منذ بضعة أسابيع بصحبة بعضهم البعض. لايزال هناك ما ينبغي أن يعرفه كل منا عن الآخر هذا صحيح لكن كلا منا أصبح يعرف عن الآخر الأمور الأكثر أهمية.

– ليس ما تقوله صحيحا؛ لأنني لا أكاد أعرفك وأنت... لا تعرفني على الإطلاق.

– نعم. لا أعرف شيئا عن مشروباتك المفضلة، ولا عن نوع الموسيقى والأفلام السينمائية التي تحبينها لكنني أؤكد لك أن حبي لك لن ينتهي؛ لأنك تفضلين الفراولة على الشوكولاتة، و"الجاز" على الرقص الشعبي، وأفضل ممارسة الحب معك على مشاهدة أحد الأفلام أيا كان...

كان قد اقترب منها جدا فتركته يطوق كتفيها:

– ليس لهذه الأمور الأهمية الأولى يا "كارين". أعلم كم أنك خفيفة الظل، وأننا نعرف كيف نضحك معا ونقضي أوقاتا سعيدة جدا، وأعلم أن فؤادي سوف يسحق إذا ما سببت لك معاناة أو ألما.

هزت رأسها وجففت دموعها.

– لو كان هذا حقيقة يا "ماكس".. هذا ما أتمناه.

– إنه الحقيقة يا عزيزتي. الحقيقة.

رفعت نحوه عينيها وتنهدت.

– تعتقد بلا أدنى شك أن الوضع سوف يستمر على هذا النحو دائما، وترى بلا أدنى شك أنني من الابتذال بحيث أكون في الفراش مع شخص لم أعرفه إلا منذ ثلاثة أيام.

– لست مجرد شخص يا "كارين" إنني الرجل الذي يحبك. ثم إنني لا أعتقد ذلك.

فقالت رافعة ذقنها:

– حسنا. إنك مهتم إذن. كان لي ارتباط واحد لا غير طوال حياتي واحد فقط، ولا شك في أنك تعتقد أيضا أنني معتادة على النزهة في العربات وتناول المشروبات و... وجميع الأمور الأخرى. لكن كل هذا على النقيض من أسلوب حياتي. لو رأيتني في "سانت لويس" عن قرب لعلمت ما أريد أن أقوله لك.

كان صدقها مؤلما أثار في "ماكس" رغبة في أن يقبلها بحرارة لكنه أملى على نفسه الابتعاد عنها. أسند رأسه إلى رأس الفراش وجذب الغطاء مدثرا جسده العاري ثم كاتف ذراعيه. استطردت "كارين" تقول بحماس:

– إنها أيام عطلة. وما كنت سأقدم على فعل أي من هذه الأمور لو لم أكن في عطلة، وكنا قد عقدنا صفقة هل تذكر ذلك؟ كل منا مدين للآخر بإبراز عيوبه. لم أتصور قط ولا في أحلامي أنه بإمكاني أن أتجول في "سانت لويس" فوق ظهر رجل... هذا من الأشياء التي لا أفعلها. هل تفهمني الآن؟ تعتقد أنك تحب امرأة ما لكن هذه المرأة التي تحبها لا وجود لها سوى هنا وفي هذه اللحظة.

فقال "ماكس" بإصرار:

– هذه المرأة ذات وجود حقيقي ودائما ما كانت موجودة.

تنهدت إحباطا. صعقها بنظرة كان يستخدمها في حداثة سنه لإرغام إخوته وأخواته على الهدوء. كانت والدته قد علمته إياها وكانت مخيفة بحق وأنت مفعولها مع "كارين" فلم ترد بكلمة واحدة رغم رغبتها في الحديث.

– لم تكوني امرأة أخرى على الإطلاق وأنت معي. أعلم جيدا أن حياتك كانت مفتقرة إلى التغيير وما الغريب في هذا؟ كنت لشقيقتك

الوالدة والوالد في ذات الوقت. ثم الدراسة ولم تحصلي على عطلة قط. متى كان يمكنك الاستمتاع بالحياة إذن؟ هذا ما أريد منك إجابة عليه.

جلس ثم انحنى نحو "كارين" مستطردا:

– لقد تصرفت على هذا النحو على مدى الأيام الثلاثة الماضية لأن هذا ما كان يريده عقلك الباطن، ولا تحاولي إقناعي بأنك في فراشي بسبب آخر غير حبك لي. أو إذا لم يكن هذا هو الحال الآن فإنك لست بعيدة عن ذلك، وإنني أتوقع تماما أن تتقبلي هذا الحب يا عزيزتي بمثل الشمولية والعمق اللذين تقبلته بهما.

ظلت "كارين" صامتة. تركته يمرر يده فوق شعرها في انتظار أن تهتدي إلى إجابة ما. رأت أنه كان محقا فيما قال؛ لأنه من المستحيل عليه أن يكون غير ذلك ليس بسبب أنه كان معها في الفراش لكن ما عدا ذلك لم يكن سوى حماقة. كيف أمكنه أن يحبها؟ كانا شديدي الاختلاف كل عن الآخر لكن هي.. هل تحبه؟ قال قلبها "نعم" ذكاؤها فقط هو الذي اعترض متعللا بان ذلك لن يكون مجديا. يا إلهي!

أخفت وجهها خلف أصابعها. كم كان كل هذا باعثا على الحيرة...

– اقتربي مني يا عزيزتي.

رمقته بنظرة فاحصة من خلال أصابعها. كيف أمكنه أن يظل على هذا السكون؟ من المستحيل أن يكون مقدرا أهمية ما قد حدث.

– هذا الأمر لن يستقيم يا "ماكس".

– لا. أعطيني فقط الفرصة حتى يستقيم، والآن لماذا لا تأتين إلي حتى أضمك في ذراعي؟

– لا، سوف أعود إلى حجرتي؛ إنني بحاجة إلى أن أفكر. وأن أتصل بصديقتي "ليزلي"...

– حسنا. كما ترغبين.

وأجابها إلى رغبتها بسهولة. غادر "ماكس" الفراش ثم بدأ يبحث على الأرض. سألته "كارين":

– ماذا تفعل؟

– أبحث عن الملابس.

ثم رفع فوق سبابته قطعة من الملابس الداخلية النسائية:

– أعتقد أن هذا يناسبك أكثر مما يناسبني.

اختطفت تلك القطعة وارتدتها على الفور ثم قالت:

– لا داعي لأن ترافقني في الممر. ليس ثمة خطورة محتملة.

– عزيزتي.. إذا كنت تتصورين أنني سأسير معك في الممر ثم أغلق الباب ما بيننا فإنك مخطئة. تريدين أن تعودي إلى حجرتك؟ لا بأس. يمكنني النوم هناك كما يمكنني هنا لكن أينما تكوني فسأكون أنا أيضا. رسالتي واضحة؟

فتحت "كارين" فاها ثم قفلته.

– هل هناك ثمة ما تريدين قوله؟

هزت رأسها:

– حسنا. كفانا حديثا هذه الليلة. يمكننا إيضاح ما عسى أن يكون بحاجة إلى الإيضاح غدا.

وعاد إلى الفراش فاتحا لها الغطاء عن آخره:

– حسنا.. هل ستأتين أم لا؟

علمت "كارين" منذ لحظة أن انتزعها "ماكس" من الفراش في صباح اليوم التالي أنه لن يوضح لها شيئا. كان برنامجه هو إسعاد الفتاة. نظرت إلى المنحدر الخطير الذي تقاطعت عليه آثار انزلاق من سبقوهما في ممارسة هذه الرياضة وارتجفت.

– هل أنت واثق بانني أستطيع هبوطه؟

– إنه في مثل استواء ذلك الذي هبطنا منه توا.

وهو ما يعني عددا أكبر من مرات السقوط.

قال "ماكس" وهو يهز رأسه:

– "كارين" "كارين" "كارين" ليكن موقفك إيجابيا. الهبوط أمر باعث على البهجة. أليس كذلك؟ ينبغي أن تفكري في الأمر من هذا المنطلق. ولك القرار على كل حال.

انزلق من أمامهما صبي في حوالي التاسعة من عمره. همس عندما أصبح في مواجهتهما:

www.elromancia.com

– معذرة.

اهتزت ساقاه النحيلتان وبدا حذاؤه وكأن كل فردة منه تتخذ من الأخرى اتجاها مضادا ومع ذلك ظل الطفل محتفظا بوضعه حتى توارى عن أنظارهما.

تنهدت "كارين" قائلة:

– لا بأس. مادام أنهذا الصبي أمكنه أن يفعل ذلك فسوف يمكنني أنا أيضا.

كزت على أسنانها مرتكزة فوق عصوبها، وظلت أسنانها على هذا الوضع حتى بلغت قاعدة المنحدر وكان ذلك بسبب ابتسامها.

قال "ماكس" مهنئا لدى توقفه برشاقة بجوارها:

– كنت عظيمة يا عزيزتي.

فأجابته ضاحكة:

– أعلم. لم أسقط مرة واحدة!

– سوف تتفوقين علي في التزحلق مع حلول نهاية اليوم.

– سوف نرى.

علمت "كارين" دون أن ترى عيني "ماكس" المختفيتين خلف النظارة الشمسية أنهما ضاحكتان؛ إذ كانت الغمازتان على موعد. عبث النسيم بشعره فأثار فيها رغبة في أن تعبث أصابعها به، وأن تضع شفتيها فوق تلك الابتسامة المشرقة.

وفي لحظة تفكيرها في ذلك طبع على شفتيها قبلة حارة. احتوتها مشاعر السعادة ثم موجة من مشاعر اليأس. ظلت كلمة "الحب" متسلطة على ذهنها. منذ أن استيقظت في ذراعي "ماكس" ظلت تفكر في الأمر طويلا دون أن تتوصل إلى أي قرار. كان الوقت لا يزال مبكرا جدا وتطورت الأمور بينهما بسرعة هائلة.

– تعلمين يا "كارين".. لابد أن تكون هذه هي المرة المائة التي قلت لك فيها بأسلوب أو بآخر إنني أحبك ولن يضيرني أن أسمع منك مرة واحدة كلمة أحبك... كلمة بسيطة. مرة واحدة فقط.

– أرى أنه من الواجب أن نتحدث في ذلك اليوم.

– إننا نتحدث فيه بالفعل. قلت لك ما لدي والآن هذا هو دورك في الحديث.

– "ماكس"... إنني...

– ليس الأمر على هذا القدر من الصعوبة. سوف أعاونك. إنني... هيا.. أكملي. إنني...

قالت بنبرة بدا التردد فيها واضحا:

– إنني...

– أحبك.

– إنني أحـ...

– "ماكس"!... "ماكس"! حمدا لله أنني وجدتك!

توقف "سكيب" أمامهما فوق كتلة جليدية بينما نطق "ماكس" بسلسلة من الألفاظ التي تنم عن عمق ضيقه لسماع صوت صديقه.

– من المستحيل أن تكون أسوأ حالا. ما الذي تريده؟

– معذرة يا صديقي. رأيت أنه من الواجب أن تعرف. تلقى "تيري" مكالمة هاتفية من شقيقته "سوزي": "سوزي" بالمستشفى.

استشعرت "كارين" توتر "ماكس" على الفور.

– ما الذي أصابها؟ أرجو ألا يكون الوضع خطيرا.

– يعتقدون أنها مصابة بنوبة قلبية.

فقال "ماكس" واضعا يده على وجهه:

– يا إلهي! واحتمل "تيري" سماع هذا الخبر؟

– حالته سيئة للغاية. ستكون الطائرة متأهبة للإقلاع بمجرد وصولنا إلى المطار ينبغي أن نرحل على الفور.

رأى أنها أنانية وقسوة أن يترك "كارين" التي لم يتجه تفكيرها في تلك اللحظة إلا إلى أن الأمر بينهما قد انتهى بذلك، وأنه سوف يركب الطائرة ويختفي من حياتها نهائيا ولا تراه ثانية.

التفت "ماكس" إليها قائلا:

– عزيزتي...

فقالت بصوت منسحق:

www.elromancia.com

– أعلم. ينبغي أن تذهب. "سوزي" أعز صديقة لديك. أليس كذلك؟ وينبغي أن تذهب للاطمئنان عليها.

– تعالي معي.

كاد قلب الفتاة أن يتوقف.

– ماذا؟

– تعالي معي سوف نتحدث. أنت ذاتك قلت: إنه ينبغي أن نتحدث هيا.

– "ماكس" إنني...

بدا الأسى واضحا في صوتها وعجز ذهنها عن موافاتها بالمشورة اللازمة؛ فأحست وكأنها تتخبط كمبحر في الضباب. ماذا عساها أن تقول له؟ وماذا عساها أن تفعل؟ هل من اللائق أن تذهب معه أم لا؟ بدت فكرة الوداع في هذا المكان والزمان غير محتملة على الإطلاق لكن ما البديل؟ وكيف يمكنها أن تذهب معه وعلى هذا النحو المفاجئ؟ ينبغي عليها أن تعد حقائبها وتتصل ببلدها و...

– لن أكون مستعدة في الوقت المحدد للإقلاع يا "ماكس".

– لم تريني بعد أعد حقيبة سفري. بإمكاني إفراغ محتويات حجرتينا في غضون ما لا يزيد على عشر دقائق.

– لكنني بحاجة إلى...

– وأنا أيضا بحاجة إليك يا عزيزتي. إنني بحاجة إلى أن تكوني معي. إنني آسف لإفساد ما تبقى من أيام عطلتك لكنني سوف أعوضك عن هذا كله. أعدك بذلك.

أغمضت "كارين" عينيها غير قادرة على أن تميز ما إذا كان ما يدفع قلبها إلى هذا الخفقان المحموم هو الخوف أم الابتهاج. إلى أين تذهب؟ لم تعلم لكن لم يكن لها خيار. شيء واحد كان مؤكدا لها: أنه بحاجة إليها وكيف ترفض شيئا كهذا؟

الفصل العاشر

– هكذا يا "كارين". لقد هبطت الطائرة بنا.

فتحت الفتاة عينيها بتأن. على الرغم من حركة الطائرة البطيئة على أرض المطار لم تزل معدتها متوترة قلقا. قالت:

– إنني آسفة. لا أدري ما أصابني.

فقال "ماكس" ضاغطا على يدها بحنان:

– لا تنزعجي. تلاحق الأحداث هو الذي أثر على معدتك.

– ربما.

واقع الأمر أن هذا قد أصابها منذ لحظة أن رأت تلك النفاثة الانسيابية البراقة التي كانت في انتظارهم بالقرب من إحدى المظلات بالمطار.

– علما بأنني قد تحملت مشقة السفر من "دنفر" وسط عاصفة ثلجية في تلك الطائرة العتيقة الشبيهة بصندوق بال مجنح. هذه الطائرة تعتبر فاخرة جدا بالمقارنة بها.

– هذا صحيح يا عزيزتي. لو أتينا إلى هنا بإحدى تلك الطائرات لكان لايزال أمامنا ثلاث ساعات من الطيران.

– وكنا لانزال قلقين على حالة "سوزي".

– حمدا لله أنهم قد اتصلوا بنا بالطائرة، وحمدا لله أننا علمنا منهم أن "سوزي" سوف تغادر المستشفى! لا أدري كيف كان "تيري" سيتحمل الصدمة لو أن "سوزي" كانت مصابة بنوبة قلبية بالفعل وليس بهذه الحالة الصحية البسيطة التي تعانيها.

– النوبات المعدية الحادة مؤلمة للغاية ومن الممكن أن تكون خطيرة جدا.

– حسنا. من الأفضل ألا تخبري "تيري" بذلك. كفاه صدمات اليوم.

– إنك قريب منه جدا ومن زوجته. أليس كذلك؟

بدا الحنان واضحا في عيني "ماكس" بينما كان يحرر حلقه:

– هذا صحيح. لولا وجود "تيري" بجانبي لأصبحت ذلك الميكانيكي الذي أراد والدي لي أن أكونه. هو الذي ألحقني بأول عمل لي بإدارة المطاعم، وساعدني في الحصول على أول قرض من البنك. أما "سوزي"...

فاعتقد أنها هي التي شجعته على ذلك.

– كان ذلك إذن سبيلك إلى معرفة هذه المجموعة من الأصدقاء؟

– بالضبط.

خلع "ماكس" حزام الأمان فتبينت "كارين" أن الطائرة قد توقفت عن الحركة.

قال "ماكس" منحنيا نحو الممر الرئيسي بالطائرة ليضع يدا فوق كتف صديقه:

– "تيري"؟ قبل "سوزي" عني، وأخبرها بأننا سوف نزورها غدا. "كارين" متعبة قليلا. سوف أصحبها إلى المنزل كي تستريح.

فقالت "كارين" معترضة:

– إنني الآن على خير ما يرام.

فقال "تيري":

– من الأفضل أن تعودا إلى البيت حتى تنالي قسطا من الراحة؛ لأنني بصراحة تامة أود أن أكون بمفردي مع "سوزي" بعض الوقت، وسوف تندم شقيقتها شديد الندم على الذعر الذي سببته لي. وأنهى حديثه بغمزة من عينه.

ضحكت "كارين" له قائلة:

– إنني مقدرة ذلك.

– والآن اعتن جيدا بهذه الفتاة يا "ماكس". قد نحتاج إلى طبيبة بين أفراد أسرتنا.

رفعت "كارين" بصرها نحو "ماكس" بعد ما انصرف "تيري" وتساءلت متحيرة:

– هل أنتم أقرباء؟

– بالروح فقط. انتهى الأمر بنا بمرور السنين إلى أننا أصبحنا نعتبر أنفسنا أسرة واحدة.

مد لها يدا حتى يعاونها على مغادرة المقصورة. كان طقس "أطلانطا" أكثر برودة مما توقعت الفتاة بحيث ذكرها بمناخ "سانت لويس". كما لم تكن هناك تلك المباني العتيقة والممرات المحفوفة بأشجار القرو التي

تخيلتها.

قال "ماكس":

– أرجو أن تنتظريني هنا مع الأمتعة حتى أذهب وآتي بالسيارة من موقف الانتظار.

هزت رأسها وقد سيطرت عليها رغبة مفاجئة في ألا يغيب عن بصرها. عاودها انحراف المزاج الذي عرفت سببه في هذه المرة: الخوف. الخوف من أن تفقد ما كانا قد تقاسماه في "كولورادو"... الخوف من مواجهة الواقع.

أسرعت تقول:

– لا داعي إلى ذلك. ليس معنا سوى ثلاث حقائب يمكننا حملها.

وأحست "كارين" بقدر من الاطمئنان عندما وصلا معا إلى حيث وقفت شاحنة "ماكس" حديثة الطراز تنتظر. كانت هذه المركبة أكثر قربا إلى الصورة التي كانت قد رسمتها له في مخيلتها من نفائته الخاصة: سيارة شاحنة، ومنزل صغير في منطقة سكنية بسيطة وربما كلب. فقد أعجبتها مثل هذه الصور.

كما أعجبتها تلك القبلة الطويلة الحارة التي اختار أن يستقبلها بها في سيارته لحظة أن استقرت فوق المقعد بجواره والتي أعادت إليها مشاعر الأمن والأمان.

– أهلا بك في "أطلانطا" يا عزيزتي. تعتقدين أنك سوف تحبينها.

– ينبغي قبل الإجابة أن أرى شيئا آخر فيها فضلا عن موقف انتظار السيارات بالمطار.

ابتسم:

– أقترح خط سير معينا في الطريق إلى البيت لكن وقبل ذلك لو لم يكن لدى معدتك اعتراض ما أرى أن نتوقف في مكان ما مناسب ونتناول شيئا من الطعام. لا أدري ما إذا كانت لديك رغبة في تناول شيء الآن لكنني أكاد أموت جوعا.

بدأت معدة "كارين" تتأهب لاستقبال الطعام لمجرد الحديث عنه.

– تبدو هذه الفكرة رائعة لي.

فقال "ماكس" مبتسما:

– حسنا. نقوم بجولتنا بعد ذلك إذن بحيث نعود إلى البيت في حوالي السابعة والنصف؛ وبذلك تتاح لنا فرصة للحديث...

رمقته بنظرة عدم استحسان.

– سوف نتحدث يا "ماكس". هذا ضروري.

– نعم يا سيدتي وقد وعدتك. أليس كذلك؟

– بلى.

– ويمكننا أن نتحدث الآن لو أردت لو أننا بدأنا بموضوع الأطفال.. وهو موضوع أساسي. أريد اثنين من الأطفال لكنني أحبذ أن نمنح أنفسنا مدة قصيرة قبل الإنجاب. ما رأيك؟

بدت حالة الذهول التي أصابت الفتاة وكأنها موافقة حتمية لذلك. استطرد قائلا:

– ولا ينبغي أن ننتظر أكثر من عام واحد أو عامين على الأكثر لإنجاب الطفل الأول. أمي تريد أطفالا صغارا ثم إن هناك تلك الساعة البيولوجية المعروفة.

– "ماكس"...

– هناك أيضا مشكلة العمل وهي واضحة بالنسبة إلينا: لك عملك ولي عملي، وأهم ما في الأمر هو أن...

– "ماكس"...

– أن نعرف كيف نرتب أولوياتنا ولا نسمح للعمل بأن يطغى على حياتنا الخصوصية معا.

– "ماكس"؟ لكن ماذا تفعل؟

– أتكلم. أما عن النواحي المالية فسوف أتحملها بالكامل إن لم يكن لديك اعتراض، وسوف أعاون في الأعمال المنزلية. حرصت والدتي دائما على تعليم أبنائها...

– "ماكس"!

وخفق قلبها بشدة جعلتها تعتقد أنها على حافة سكتة قلبية. رمقها "ماكس" بنظرات براءة متناهية دفعتها إلى الاعتقاد بأنه على دراية تامة بما يفعله وقال:

– كنت أظن أنك أردت أن نتحدث.

– أن نتحدث تعني تبادل الأفكار لا تأدية مونولوج بمفردك.

– لا بأس. وقد عرضت عليك أفكاري فيما يتعلق بالزواج. ما هي وجهة نظرك؟

اضطرت "كارين" إلى الاعتراف له بقولها:

– إنني متفقة معك في أفكارك من ناحية المبدأ.

– حسنا. ما الذي لا تتفقين معي فيه إذن؟

بدأت مشاعر القلق تتفاقم بداخلها. بدا كل شيء مناسبا إلى حد استحالة كونه حقيقيا.

– إنني... إنني أرى أن الزوجين يتعين عليهما المشاركة في القرارات المتعلقة بالنواحي المالية.

فقال:

– وأنا أيضا.

ثم سألها:

– وماذا أيضا؟

– إنني... إنني موافقة مبدئيا على كل ما عدا ذلك. من ناحية المبدأ.

– عظيم! أرأيت كم أننا متجاوبان؟

فقالت "كارين":

– إنك تدفعني إلى الجنون فضلا عن شخيرك أثناء النوم.

– لا مشكلة سوف أتوجه على الفور لإجراء الجراحة المناسبة.

– وإذا كنت أنا التي أشخر؟

غمرتها نظرة "ماكس" الحانية قبل أن يقول:

– إنني واثق من غير ذلك.

انعطفت السيارة ببطء شديد بحيث كان من الممكن لدبوس شعر أن يوقفها. شاهدت "كارين" من خلال النافذة المنازل المحيطة بالشوارع من حول ذلك الطريق الرئيسي الذي تناثرت على جانبيه المحلات التجارية الصغيرة. ذكرتها تلك البقعة بالمكان الذي كانت تعيش فيه ببلدها. بلدها بدون "ماكس"؟ استبدت بها مشاعر الألم مرة أخرى. ربما أمكنه

www.elromancia.com

بعد ذلك أن يصحبها إلى "سانت لويس" ويبقى معها بضعة أيام. يمكنهما عندئذ... يمكنهما ماذا؟ مشاهدة البرامج التليفزيونية؛ لأنها ستكون من الإرهاق بحيث لا يمكنها السهر خارج البيت؟ أو يطوف "ماكس" حول المستشفى متحينا لحظات فراغها النادرة ليختلس بعض القبلات. أفكار رائعة ما الذي يمكنها أن تقدمه له في "سانت لويس" ويمتعه؟

لا شيء. لا. ليس لديها ما تقدمه إليه سوى قلبها لكن هذا لن يكون كافيا. ولم يكن كافيا ليحول دون وفاة والدتها أو إقلاع والدها عن تناول المشروبات أو مغادرة "بريدجيت" البيت، ولن يكون كافيا للاحتفاظ لها بـ"ماكس".

وضع البرد القارس -الذي تسلل إلى داخل السيارة حال فتح "ماكس" بابها- نهاية لشرود ذهنها. قبضت يده قوية دافئة على يدها؛ كي تعاونها على مغادرة السيارة.

قال متوجها بها نحو المطعم:

- أرجو ألا يضايقك أن تجدي هنا ذات الأصناف التي ضمتها قائمة طعام الأمس. لكنني واثق من أننا سوف نلقى الخدمة المتميزة والأسعار المناسبة.

أولت "كارين" عنايتها على أثر قوله هذا إلى المبنى الذي كانا يقتربان منه: كان مشيدا على طراز أبنية "إنجلترا" القديمة، وكانت الأبواب من الزجاج المدخن. قرأت على نحو تلقائي اللافتة المعلقة فوق المدخل: مطاعم "أوكونر". مطاعم "أوكونر".

- ماذا؟

قال عندما رآها على وشك الإغماء:

- إنه أول المطاعم التي افتتحناها. العمل فيه ليس على مستوى كثافة مطاعمنا الأخرى. لكن هذا...

- الأخرى؟

دفع باب المدخل بكبرياء:

- نعم. لم تعتقدين أن "وكر الدببة" كان المطعم الوحيد لي؟

- إنني... إنني...

كيف يمكنها الاعتراف له بأنها لم تصدق تماما أنه مالك "وكر الدببة"؟ يا إلهي! ألم تكن أهلا لافتراض أشياء خطأ في الآخرين والحكم من خلال المظاهر فحسب؟

ما إن دخلا حتى أشارت إحدى المضيفات إليهما بالتوجه إلى المائدة التي اختارتها لهما.

سألته "كارين" بنبرة هادئة:

- وكم عدد المطاعم الأخرى التي لك؟

أجابها "ماكس" وهو يحتل مقعده:

- ثمانية.

ظلت فاغرة فاها لحظة قبل أن تتنهد قائلة:

- ثمانية؟ لابد أنك مشغول للغاية.

- عملت طويلا مدة أربع وعشرين ساعة في الأربعة والعشرين ساعة لكن هذه الفترة قد انتهت الآن. أصبح لدي الآن مديرون ومحاسبون؛ وبذلك أصبح يكفيني متابعة سير العمل عن بعد دونما حاجة إلى بذل جهد كبير.

- على نمط زيارتك إلى "كولورادو" على سبيل المثال.

- أو إلى "تكساس" أو "ألاباما".

أحست باختناق يتكون بحلقها وبروحها المعنوية تتدهور بسرعة مذهلة. أرادت أن تكبح جماح أفكارها لكن في كل مرة كانت تستقر عيناها فيها على "ماكس" تشعر بأنها تراه لأول مرة.

وربما كان الحال كذلك؛ لأن كل ما جاد به خيالها عليها بدأ ينهار كلية. كانت قد حضرت إلى "أطلانطا"؛ لتستمتع بفترة إضافية من ذلك الحلم الذي عاشته في "كولورادو" لكنها كانت تراه يتبدد بين دقيقة وأخرى ويبتعد عنها شيئا فشيئا.

وازدادت "كارين" بعدا وزاد ذهنها شرودا لكن "ماكس" أدرك ذلك بكل حواسه، ولزمت الصمت التام عندما حملهما المصعد الذي أقلهما إلى شقته. وعلى الرغم من الابتسامة التي رمقته بها استشعر توترها المتفاقم. لماذا يا حبيبتي؟ نشط ذهنها إلى حد محموم. لماذا؟

لم يفهم لذلك سببا. كان قد تصور إبان اصطحابها إلى "أطلانطا" أنها سوف ترى بنفسها أنه ليس مجرد عاطل عابث، وأن حياته لم تكن على النقيض من أسلوب معيشتها كما كانت تعتقد وأنه مقدر للارتباط وللمسؤولية لكن هذه الخطة لم تجد بشيء. لماذا؟

بدأ يعود بذاكرته إلى لحظة توجههما إلى المطعم. تحدثا وضحكا ثم وهما أمام العشاء... لا... قبل العشاء عندما تبينت أنه مالك "مطاعم "أوكونر" بدأت...

بدأت نطفة تفهم تتولد بذهنه. نطفة مرة المذاق. من غير الممكن أيضا أن تعتقد أنه... لا. من غير الممكن أن تعتقد أنه بالنظر إلى أن وضعه المالي أفضل مما كانت تعتقد من الممكن أن يكون مختلفا أو ألا يكن لها ذات المشاعر الدافئة. لا. ربما كانت متعبة بحق كما كانت قد قالت. ربما...

فتحت أبواب المصعد الأوتوماتيكية واضعة نهاية لتفكيره. حمل الحقائب وأشار لها إلى الطريق. حاول أن يطمئن نفسه إلى أن كل شيء سوف يستقر وأن جميع الأمور ستكون على خير ما يرام. سوف يستريحان ثم يتناقشان ويعودان إلى حيث كانا قد انتهيا في حديثهما السابق.

سارت "كارين" بخطى غير واثقة في الممر لتتوقف فجأة وتتأمل بنظرات الدهشة تلك الشقة الفخمة. خطف بصرها الزجاج والبرنز، واللوحات الفنية كبيرة الحجم التي احتلت أماكنها فوق الجدران، وقطع الأثاث الفاخرة التي استقرت فوق الطنافس الفخمة.

– تعيش هنا؟

سؤال أحمق لم يمكنها كبحه لكن هذا الموقع لم يكن متناسبا على الإطلاق مع هذا الرجل الذي لعب مباراة كرة قدم بداخل حجرته بالفندق، والذي لجأ إلى الغش وهو يلعب الورق معها والذي أضحكها وأبكاها من فرط السعادة.

– لا تبدي دهشة إلى هذا الحد يا عزيزتي. من يراك يكاد يعتقد أن بصرك قد وقع على ما لا يرضيك.

– لا. يعجبني إلى حد بعيد.

ضغط "ماكس" على مفتاح الإضاءة واكتملت فخامة الحجرة بالنباتات المتدلية، وبالوسائد المزركشة المتناثرة في كل مكان تقريبا فوق قطع الأثاث الفاخرة وضعت بعض الكتب مع بعض التحف البللورية بذوق متميز بداخل إحدى الخزانات الزجاجية بالحجرة.

– ببساطة تامة لم أكن أتصور شيئا من هذا بمسكنك.

فابتسم "ماكس" قائلا:

– كنت تتخيلين المكان الذي أعيش فيه؟

لم تستطع "كارين" أن تبتسم. جميع الأفكار والصور التي كونتها عن "ماكس" كانت بعيدة كل البعد عن الواقع حتى إنها تساءلت كيف أمكنها أن تعتقد لحظة أنها قد عرفته ولو بقدر طفيف؟ زينت البيت مجموعة متباينة من الأثاث مع علب مشروبات فارغة موضوعة هنا وهناك وسط عرض لبعض الأدوات والجوائز الرياضية مع قميص موقع عليه.

لم يكن هناك أدنى تناسق بينها ومع ذلك بدت وكأن كل عنصر فيها قد تم انتقاؤه بعناية شديدة؛ ليذكرها كل ذلك وعلى نحو مؤلم كم كانت تلك الأوقات التي عاشتها معه بمثابة وهم. والوهم يستحيل عليه الدوام.

قالت في محاولة لأن تبدو ابتسامتها أكثر إقناعا:

– كنت قد تصورت شيئا مختلفا قليلا.

لكن "ماكس" لم تخدعه هذه الحيلة. اكتفى بقوله:

– ليست سوى شقة قام بتصميم ديكوراتها أحد المتخصصين في هذا المجال؛ لتليق برجل أعمال معروف هنا؛ ولا تعكس سوى مركزي المالي يا عزيزتي بغض النظر عن ذوقي الخاص. من المفترض أن تكون مبهرة لا مخيفة.

– إنها رائعة يا "ماكس".

سارت إلى أحد الأرفف وأخذت من فوقه زهرية رائعة حملتها بين يديها. بدت لها مساوية لما يمتلكه "ماكس" من أموال. لقد رأت فيه ببساطة تامة شخصا حالما وكان بين يديها الدليل على أن أحلامه قد تحققت. ما الذي يمكنها أن تقدمه لهذا الرجل الذي لديه كل شيء؟

– إنني آسف؛ لأنني قد أعطيتك انطباعا سيئا.

– حقيقة أنني متعبة لكن التعب لا يبرر الخشونة وسوء الذوق.

قال وعلى شفتيه ابتسامة مطمئنة:

– لم تكوني كذلك. لم أكن أنتظر عددا من التعبيرات عن الإعجاب أو الانبهار..

– لكنني...

فقال "ماكس" ثانية بينما كان يحاول الجلوس باسترخاء فوق حافة الأريكة:

– لا داعي لأن تنزعجي بشأن ذلك. كان اليوم مرهقا وكلانا بحاجة إلى الاستراحة والاسترخاء. ما رأيك في حمام ساخن وأمسية هادئة أمام التليفزيون؟ بوسعنا زيارة "سوزي" غدا ثم القيام بجولة في المدينة. أما بالنسبة للعشاء فيمكنني أن أحجز لنا في الـ"أباي" أو في...

فقاطعته برقة؛ إذ ارتأت أنه من غير المجدي أن تتركه يسترسل في ترتيب برنامج غير ممكن الوفاء به. قالت:

– "ماكس".. لن يكون لدينا الوقت الكافي لكل ذلك. ينبغي أن أعود إلى بيتي غدا.

– ماذا؟

وخيم على الحجرة صمت ثقيل. هز "ماكس" رأسه بينما كان يتأملها بعدم تصديق حقيقي.

– متى قررت ذلك؟

– ما الذي تعنيه بهذا السؤال؟

– الآن يا "كارين". هل تعتقدين أنني غير مدرك أن شيئا ما قد حدث؟

نهض متوجها إلى جوارها حيث استطرد يقول ضاغطا على كتفيها برفق:

– إنك في مثل توتر قطة مترصدة. ما الذي أثارك إلى حد طلبك أن ترحلي من هنا غير مبالية؟

– هذا ليس صحيحا. ينتظرون عودتي إلى المستشفى يوما بعد يوم.

– أخطريهم إذن بمد عطلتك بضعة أيام أخرى.

– لا يمكنني ذلك. عطلتي تنتهي يوم الاثنين.

قال:

– عزيزتي. لا تكوني هكذا. إننا بحاجة إلى فترة من الزمن.

توترت أعصاب الفتاة. سألته برفق مبتعدة عنه قليلا:

– لا أكون كيف يا "ماكس"؟ كشخصيتي الأصلية؟ حاولت أن أشرح لك. قلت لك إنني لست المرأة التي تعتقدني إياها. إنني أنا يا "ماكس" الفتاة التي لا ينطبق عليها وصف التسيب ولا الاستسلام للغرائز. لم أصبح بعد "كارين" التي قضت عطلتها في "كولورادو" كما لم تصبح أنت كذلك.

– ما هذا الذي تقولينه؟! لا زلنا نفسي شخصي الأمس.

– لا. لقد تغير كل شيء الآن. وأنت أيضا تشعر بذلك؛ ولهذا السبب قلت هذه الكلمات: "لا تكوني هكذا". تريدني أن أعود إلى ما كنت عليه من قبل وهو ما لا يمكنني.

– ليس هذا ما كنت أعنيه. كل ما كنت أعنيه هو أننا بحاجة إلى مزيد من الوقت. كنت أريد منك أن...

– أن أنسى مسؤولياتي في "سانت لويس" وأمد عطلتي؟

التقت نظرة "ماكس" بنظرة "كارين":

– الأمر لا يتعلق بعطلة لك فحسب يا "كارين" وتعلمين ذلك جيدا. أحبك وأريد لنا ارتباطا تاما. زواجا، وأطفالا، وكل شيء آخر.

خفق قلب الفتاة بشدة في صدرها. التقطت نفسا عميقا وحاولت عبثا السيطرة على المشاعر التي استبدت بها. تطورت الأمور بسرعة وقسوة ثم قالت:

– لا تفعل هذا يا "ماكس". أرجوك ألا تفعل ذلك.

سألها وقد أحس بالارتعاد الذي شاب صوتها وبالأسى الذي نطقت به عيناها:

– لا أفعل ماذا؟ ما الذي لا تريدينه؟ أن أخبرك بمشاعري وأحاسيسي؟ وبم أتمناه وأرجوه؟

– لا تضغط علي لاتخاذ قرار لست متأهبة لاتخاذه.

ابتعد عنها بمقدار خطوة حتى يحول دون أن يأخذها في ذراعيه:

– ومتى تتأهبين؟ بعد ستة أسابيع أم ستة أشهر أم ست سنوات؟ متى ستفهمين أن هذا لصالحنا حتى نعيش حياة طبيعية؟ لكن لم يبق أمامنا أي وقت يا عزيزتي. أليس كذلك؟

– لازالت لنا هذه الليلة.

بدا في ذهول شديد. ظل صامتا بضع ثوان استجمع فيها ذهنه إذ لم يكن مصدقا ما سمعه منها. قال بنبرات مؤكدة بعناية فائقة:

– أهذا كل ما تريدينه؟ ليلة أخرى؟

– إنها كل ما لدينا.

– ليلة قصيرة إضافية وكفى! وينتهي كل شيء؟ لا يا "كارين" إنني آسف. لا. على الرغم من كل الحب الذي أحمله لك.

بدأت تقول دون أن تدري ماذا أيضا تقترح:

– "ماكس".. إنني...

– ربما يمكنني إجراء اتصال هاتفي أعرف منه ما إذا كانت هناك رحلة إلى "سانت لويس" الليلة.

وظلت نظرته مسلطة عليها بينما توهجت عيناه غضبا. قال أخيرا:

– مادامت هذه هي رغبتك.

آه.. كم كانت تتمنى أن يضمها إلى صدره وينسى كل شيء آخر لكن النهاية كانت محتومة وستبقى كذلك دائما. كبحت دموعها وأومأت بموافقتها.

أصر على توصيلها بسيارته إلى المطار متحليا بشهامة أهل الجنوب. قطعت المسافة إلى هناك في ظل توتر شديد. تناقض صمت "ماكس" التام مع حبه المعتاد للحديث والمناغشة. واعتصر قلب "كارين" توتر وجهه والأسلوب العدواني الذي قاد به شاحنته حتى الطريق السريع.

أجفلت على نحو واضح لدى بلوغهما ساحة الانتظار؛ لأنه كان من غير المتصور أن تنتهي علاقتهما على هذا النحو.

قالت بعد تردد:

– "ماكس". ألا يمكننا حتى أن نتحدث؟

أجابها قبل أن يلقي بنظرة في اتجاهها:

– تحدثت طويلا. ومن ناحية أخرى أعتقد أنك قد قلت كل ما لديك.

ولحظة وصولهما إلى باب ساحة الإقلاع و"ماكس" حامل حقيبة "كارين" أعلن صوت مدو عن التاهب لإقلاع طائرتها.

قالت بنبرة ندم مؤلمة:

– حسنا... أرى أنه وداع.

حول بصره بعيدا عنها. لم يعلم ما إذا كان غضبه الأشد من نفسه أم منها. فبدلا من أن يضعا معا مشروعاتهما للمستقبل ها هما يودعان كل منهما الآخر. يا لها من حماقة... وأية حماقة!

– ليس فورا. لايزال لدي شيء أود أن أقوله لك.

– كنت أظن...

فقال "ماكس" جاذبا إياها إليه:

– إنه من الممكن أن تكوني قد تعبت من التفكير طوال الوقت. اسمحي لي فقط بأن أقول لك هذا.

والتصق فمه بفم "كارين" في قبلة حارة حملت في طياتها كل ما كان يكنه لها من حب والتأكيد بأن ما بينهما حب متفرد في نوعه. كم كانت سعادته عندما أحس بتطويق ذراعي الفتاة لعنقه.

عندما ابتعد عنها أحست بمشاعر الضياع والخداع وكان ذلك هو الذي سعى "ماكس" إليه جاهدا.

– تذكري هذه اللحظة جيدا، وعندما تفهمين في نهاية الأمر أن مشاعرنا أكثر أهمية من أسلوب تعاملي مع جواربي اتصلي بي هاتفيا.

ثم انصرف دون أن يستدير نحوها.

www.elromancia.com

الفصل الحادي عشر

عندما عادت "كارين" إلى بيتها وجدت "بريدجيت" شقيقتها الصغرى هناك. رأت في نظرات "بريدجيت" ما أكد لها أن الشقيقة الصغرى لم تتوقع مثل هذا اللقاء بينهما. سألتها بصوت منسحق:

– ماذا تفعلين هنا؟ اعتقدت أن موعد عودتك هو غدا.

وضعت "كارين" حقيبتها فوق أريكة حجرة المعيشة قبل أن تجلس هي أيضا عليها. دلكت صدغيها بأصابعها أملا في تخفيف حدة صداع نصفي متفاقم.

– حدث تغيير في برنامج الرحلة لكن ما الذي تفعلينه أنت هنا؟

كان مجرد سؤال شكلي؛ إذ كانت الصناديق الكرتونية المملوءة بمتعلقات "بريدجيت" والموضوعة قرب الباب إجابة كافية عليه.

– كنت قد قلت لي: إنه بإمكاني أن آخذ بعض الأواني والمفروشات.

وأومأت "كارين" برأسها ثم قالت:

– خذي كل ما تريدينه.

لم تكن تلك التفاصيل المادية ذات أهمية كبيرة لديها؛ لأن كل ما كانت تريده في تلك اللحظة بالذات... هو "ماكس". ذراعاه لتطوقاها وقبلاته وابتسامته و.. آه يا إلهي.. يا لها من معاناة!

لم يصبح رأسها– لكثرة ما استخدمته في التفكير– وقلبها– بسبب ذلك الفراق الذي كانت قد بدأت تعانيه فعلا– سوى مصدر واحد للأوجاع والآلام.

– ماذا بك؟

رفعت "كارين" عينيها فرأت صورة غير واضحة لشقيقتها التي قالت بصوت مقتضب:

– هذا ما كنت أخشاه. اختصرت رحلتك حتى تأتي في الوقت المناسب وتشعريني بأخطائي.

قالت "كارين" دهشة:

– عم تتحدثين؟

– لن تجدي محاولاتك. أود أن أحذرك من ذلك. ولن تثنيني دموعك

عن رأيي.

جففت "كارين" دموعها منتبهة إلى ما قالته شقيقتها:

– لا أسعى إلى حملك على تغيير قرارك. تعبت من محاولات إقناعك بتغيير رأيك.

هل كان ذلك ما استشعره "ماكس" أيضا؟ هكذا أخذت تفكر. هل تتصل به هاتفيا؟ لا لشيء سوى لأن تسمع صوته الحاني المتشدق قليلا. نعم ولكن...

– "كارين"؟

نظرت إلى شقيقتها مرة أخرى فبادرتها هذه بقولها:

– لا أريد أن تشركيني في أحزانك. اتفقنا؟

تشركها في أحزانها؟ يا إلهي! إنها في حالة انهيار ذهني بالفعل...

.. ربما كان من الأفضل أن أكون على علم بما يجري. تركت دراستك بالجامعة ما بين يوم وليلة. اتخذت لك مسكنا مستقلا. فعلت كل ذلك بلا سبب معروف.

– ما كان إبداء الأسباب ليجدي.

– معذرة؟

أزاحت "بريدجيت" خصلة من شعرها الكثيف بعيدا عن وجهها الجميل.

– حسنا. أرى أن الوقت قد حان لأن نتناقش.

دققت "كارين" النظر إلى وجه شقيقتها فرأت فيه تعبيرا عدوانيا لكنه حمل معاني التصميم. بدت شقيقتها لها أكثر نحالة أيضا وأكثر شحوبا.

– هل لديك مشكلة من أي نوع يا "بريدجيت"؟

أجابتها بضحكة إحباط تلتها إجابة بالنفي فسألتها "كارين" بإلحاح وقد أحست ببعض الارتياح:

– ما الذي يخيفك إذن من أن تبوحي لي بما يضايقك؟

– واقع الأمر أنني لست خائفة من أي شيء. كل ما في الأمر هو أنني لا أريد أن أخبرك. أريد أن تكون حياتي ملكا لي. أريد أن أفعل ما أريده ولا أريد أن يملى علي إحساس دائم بالذنب؛ لأنني لا أستطيع أن أكون ما تريدينني أن أكونه.

– ما أريدك أن تكونيه؟ كل ما أريده هو أن أراك سعيدة يا

www.elromancia.com

"بريدجيت". لم أرغب في غير ذلك قط.

دمعت عينا الفتاة وهي تقول:

– لا. كنت تريدينني أن أكون... عبقرية أو شيئا ما من هذا القبيل لكن هذا ما لا أريده يا "كارين". ما أريده هو أن أكون ممثلة.

– ممثلة!

ارتفع ذقن "بريدجيت":

– كنت أعلم أن هكذا سيكون وقع الخبر عليك.

– نعم... نعم... إنني دهشة إلى أقصى الحدود. لكن لماذا لم تخبريني بذلك من قبل؟

قالت وسط نشيج متواصل:

– كان ذلك مستحيلا علي. كيف كان يمكنني أن أرفض الدراسة التي تكبدت الكثير في سبيل توفيرها لي؟ وكيف كان يمكنني ألا أحاول أن أفعل ما كنت تريدينه بعد ما ضحيت حياتك من أجلي؟

وسالت الدموع غزيرة على وجهها الطفولي الجميل. نهضت "كارين" وضمتها في ذراعيها:

– "بريدجيت" ما هذا الذي تقولينه عن التضحية وغير ذلك؟ هذه حماقة! لم أفعل قط سوى ما أردت أن أفعله.

– وهل لا تتصورين أنني مقدرة مدى الصعوبات التي تكبدتها في هذا السبيل؟ دائما ما كنت مشغولة بي. قمت نحوي بواجب الوالدة والوالد معا حتى كدت أن تهملي عملك بالمستشفى حتى تتمكني من إلحاقي بإحدى المدارس المتميزة.

– هذا ليس...

توترت "كارين" ولم تكمل عبارتها. ألم تكن تلك هي الحقيقة؟ وحتى تكون صادقة مع نفسها أليست هذه الظروف هي مبعث مشكلاتها؟ كم كانت فخورا بعملها بقسم العناية المركزة بنشاطها وتحدياتها المتواصلين، وكم كانت بهجتها في كل مرة نجحت فيها في إنقاذ مريض من غيبوبته، وعلى الجانب الآخر كان العمل بالمستشفيات الخاصة والعيادات أكثر ربحا.

استطردت "بريدجيت" قائلة:

– فكرة جرح مشاعرك بعد كل العناية التي لقيتها منك على الدوام غير

محتملة على الإطلاق لكن أرى من الواجب أن أتجه إلى التمثيل؛ فهو الذي ظللت أتمناه طوال عمري ولا يسعني ألا أن أفعل ذلك.

مسحت "كارين" شعر شقيقتها متذكرة أسلوب مسح "ماكس" لشعرها هي، ومتذكرة أيضا نصيحته بأن تترك "بريدجيت" تشق طريقها بنفسها.

– والحال كذلك لا أرى بدا من أن تفعلي ذلك لكن لا حاجة بك إلى مغادرة البيت. يمكنك البقاء هنا و...

– لا. لا يمكنني مواصلة الأخذ منك بلا توقف. كدت أبلغ العشرين من عمري وهو الوقت المناسب لأن أضطلع بمسؤولياتي.

– أمامك العمر كله لتقولي ذلك لكن حاليا...

– لا. ولو علمت كيف يقتلني أخذ هذه الأواني والمفروشات ومع ذلك فإنني مضطرة إلى ذلك. أريد أن أفعل شيئا ما بنفسي ولو لمرة واحدة طوال حياتي.

دوت هذه الكلمات مثل صدى بذهن "كارين" التي تبينت مدى رغبتها في "ماكس" دون أن تجرؤ على أن تتخذ خطوة واحدة في اتجاه السعي إليه. لكن نبرة شقيقتها الصغرى المثقلة باليأس هي التي شقت طريقا مباشرا إلى عمق قلبها. كانت مشاعر اليأس هذه قد أصبحت مألوفة لها أما الحاجة إلى التحرر فلم تراودها سوى مرة واحدة.

– لا بأس يا "بريدجيت" لا بأس.

فقالت الشقيقة الصغرى مجففة دموعها:

– لست موافقة على رأيي؟

– موافقة بالتأكيد.

رأت "كارين" في وقت لاحق بعد انصراف شقيقتها أن تلك كانت الحقيقة. كانت دهشة بالتأكيد لكن بدون غضب. شردت نظراتها وهي تستوعب ببطء ما كانت "بريدجيت" قد كاشفتها به بعد ما خططت لكل شيء وبعناية: القيام بأعمال معاونة بالمسرح في المساء، واللقطات الإعلانية للتليفزيون المحلي، وتحين أية فرصة عمل تجدها حتى توفر لنفسها الإمكانات اللازمة للسفر إلى "نيويورك" ودراسة علوم المسرح هناك. ما من شك في أن عملها سيوفر لها الحياة الكريمة لكنه يهيئ لها أيضا مرونة في ساعات العمل.

كادت "كارين" ألا تصدق ما جرى أمام عينيها. كيف أمكنها أن تعيش

www.elromancia.com

معها طوال تلك السنوات ترعاها وتعتني بها دون أن تشك مرة في...

يا إلهي! كان لذلك وقع الصاعقة عليها. ربما أنها لم تعرف كل شيء عن شقيقتها ومع ذلك لم يقل حبها لها بسبب أحلامها هذه المختلفة عنها في الرأي.. ستظل "بريدجيت" هي "بريدجيت"؛ لأن روحها لم تتغير.

وهذا ما ينطبق على "ماكس" بغض النظر عما إذا عاش في قصر أو في كوخ أو امتلك مطعما أو عشرة مطاعم أو لا شيء على الإطلاق. فكل ذلك لا يعني شيئا. لم تحبه لماله لكن لشخصه وشخصيته.. لشهامته ورقته وحنانه وخفة ظله.

وأحبها. صارحها بذلك لكنها رفضت أن تصدقه؛ خشية ألا يدوم حبه لها طويلا.

لا بأس إذن من أن تحذو حذو شقيقتها الصغرى.. وتتخلى عن هذا الجبن وهذا التراخي. لقد حانت لحظة الكف عن القلق على ما فات أو على ما سيأتي والبدء في أن تحيا وقتها الحاضر. أمسكت بسماعة الهاتف. راودتها رغبة شديدة في أن تضحك وأن تبكي معا. اتخاذ القرار شيء وتنفيذه شيء آخر...

خفق قلبها وهي تمسك ببطاقة "ماكس". طلبت رقمه لكن انتظارها طال دون أن يجيب الهاتف أحد.

ولم يكن ببيته في اليوم التالي أيضا. ولا على مدى اليومين التاليين له. أعادت "كارين" السماعة إلى موضعها بحجرة استراحة الأطباء بعد ما تركت الهاتف يدق عددا كبيرا من المرات. أين هو؟ وأين من الممكن أن يكون في التاسعة والنصف من مساء الأربعاء؟ لماذا طلب منها الاتصال به طالما أنه غير موجود بمنزله قط؟ كبحت رغبة ملحة في أن تقذف بمرمدة عبر الحجرة. رأت أنه من الأفضل أن تتناول قدح قهوة.

– هيا أعطني أيضا قدحا.

استدارت "كارين" نحو الباب قائلة:

– "ليزلي" ما الذي تفعلينه هنا؟

– كان ينبغي أن نكون عندك منذ ساعة في حالة ما إذا كنت نسيت..

وتوجهت القادمة الجديدة إلى آلة القهوة لتحصل على قدح منها. فقالت "كارين" رافعة حاجبيها:

– حقيقة؟

– كان من المفترض أن نتناول شيئا من الطعام قبل أن نذهب إلى السينما. ألا تتذكرين أيضا؟

أيقظ فعلها هذا ذكرى غامضة بذهن "كارين":

– إنني آسفة. أعتقد أنني قد نسيت تماما. لكن على أية حال لم يكن باستطاعتي أن أفعل ذلك.

قالت "ليزلي" وهي تجلس فوق الأريكة الجلدية:

– استنتجت أن الليلة الماضية كانت مثقلة بالعمل.

– إلى حد غير محتمل: كسران مضاعفان، وكسر عادي، وقطع نافذ. كنت سأتصل بك لإلغاء هذا الموعد لو أنني قد تذكرته.

– لا مشكلة. فهمت ما كان يجري بالمستشفى عندما رفضت "وجه القراصيا الجافة العجوز" توصيلي بك.

تنهدت "كارين" لسماع ذلك الاسم الذي أطلقته "ليزلي" على مسؤولة الاستقبال والذي كان منطبقا عليها تماما:

– تعنين "سادي".

– أخبرتني "سادي" بأنك كنت ممزقة الجهد ما بين عمليتين جراحيتين، ولم تكن هناك أدنى فرصة لإمكان الاتصال بك منعا لإزعاجك. تجولت حول المكان بعض الوقت ثم أتيت إليك في نهاية المطاف وقد اتصلت "بريدجيت" هاتفيا عندما كنت بالطابق السفلي. بدا صوتها سعيدا.

– حمدا لله. أريد لها السعادة.

ارتسمت على وجه "ليزلي" ابتسامة إشفاق.

– إنني فخور بك كما تعلمين، وأعلم أن ما حدث كان صعبا عليك.

– ليس على مستوى الصعوبة التي كان من الممكن أن تكون منذ أسبوعين سابقين.

– آه. لا. لن تبدئي بالتغني بمآثر ذلك الرجل على ما أرجو.

– لكن... لكنك كنت أول من قال لي إن ذلك كان أفضل لقاء صادفته طوال حياتي. أليس كذلك؟ وإن وقوعي في غرامه هو أذكى خطوة اتخذتها في حياتي؟

– ربما أكون قد غيرت رأيي.

– معذرة؟ لأنك لا تعرفينه ولا تعلمين أن..

قاطعتها "ليزلي" بحركة هزلية حاكت فيها حماسها في الدفاع عنه:

– كنت أستدرجك.

– اسمعيني. تصرفت بحماقة مرة ولست على استعداد لتكرارها. لو أمكنني فقط الاهتداء إليه هاتفيا... أين من الممكن أن يكون؟ أرجو ألا أكون قد أغضبته كلية.

– ذكرت لي أنه يحبك. أليس كذلك؟

– بلى ولكنه... إنك تستدرجينني ثانية!

– بالتاكيد ولا تتانين بل تسرعين.

– طبيبة "ديفز"؟

التفتت "كارين" لسماع اسمها فرأت "سادي" وجه القراصيا الجافة العجوز تفتح باب الحجرة عن آخره.

– أووف. لاتزالين هنا؟ إنهم بحاجة عاجلة إليك بحجرة الإسعافات.

سألتها "كارين" متحيرة وهي تسير في أعقابها:

– لكن أين الطبيب "رولينجز"؟

– مشغول.

كادت أن تتوجه عدوا إلى هناك؛ حتى تلحق بالسيدة العجوز، وكانت "ليزلي" أيضا في أعقابها وإن لم يتوفر لـ"كارين" الوقت اللازم لسؤالها عن السبب.

توقفت "سادي" أمام ستار إحدى مقصورات الكشف قائلة:

– هنا.

ثم اتجهت نحو "ليزلي" قائلة:

– وأنت ابقي بالخارج.

– لكن...

ولم تسمع "كارين" ما تلا ذلك. وما إن فتحت الستار حتى تسمرت في مكانها.

رأت "ماكس" جالسا فوق منضدة الفحص وجبينه بين يديه. أسرعت إليه قائلة:

– ماذا...؟ "ماكس" ما الذي أصابك؟

ثم لمست صدغه بأنامل مرتعشة

رفع بصره نحوها بهدوء

– لقد نزعوا لي الغرز الجراحية.

– انتظرت حتى اليوم لتنزع هذه الغرز؟ "ماكس" ألم يخبرك الطبيب...

فقال مسكتا إياها بنظراته:

– لا تبدئي يا "كارين". أخذت أكثر من نصيبي من المتاعب هذا اليوم.

رفضت "سادي" السماح لي بالدخول متعللة بأن حالتي ليست في عداد الحالات العاجلة، واقنعتها "ليزلي" مشكورة بأن الغرز الجراحية تندرج تحت هذا البند... أووف.

ظلت واقفة فاغرة فاها:

– "سادي" ثم "ليزلي"...

يا إلهي كم سعدت برؤيته!

– والآن اسمعيني...

قال ذلك وهو يفتح صندوقا مستطيلا أخرج منه لفة أوراق فردها فوق المنضدة:

– هذا هو التصميم الذي أعددته لمطعمي الجديد الذي أعتقد أنني سوف أشيده هنا بهذا البلد.

تأملت التصميم باهتمام بينما استطرد قائلا:

– يستغرق الانتهاء من العمل فيه ما بين ستة وثمانية أشهر بمجرد اهتدائي إلى موقع مناسب لإقامته فيه.

ألقى بنظرة إليها كما لو كان يطمئن إلى أنها تتابعه، وكانت تتابعه. أحست لحظة وكأنها ستنفجر باكية.

– وأتصور أنك ستقضي أوقاتا طويلة هنا لمتابعة سير العمل و...

– وإن لم تتوصلي قبل كل ذلك إلى قرار بضرورة أن نتزوج فينبغي ألا تواصلي الادعاء بعلاج الآخرين؛ لأنك أكثر حاجة منهم إلى العلاج.

قالت "كارين" بنبرة رقيقة:

– لا أعتقد أن ذلك سيستغرق مني وقتا طويلا.

– إنني أحبك يا حبيبتي. وأنت ما قولك؟

– أرى أن أربعة أسابيع ستكون كافية لي لاتخاذ ترتيبات الزواج.

أعجب الفتاة منظر "ماكس" مشدوها:

– أربعة...؟

– لو أنك توقفت عن الكلام مدة دقيقتين ورأيت أن تستخدم فاك فيما هو أفضل لقبلتني ثلاث قبلات متتالية.

www.elromancia.com

واتفقا على أن تتم إجراءات عقد القران بعد أسبوعين فقط. واستأثر بفمها في قبلات حارة تركتها عاجزة عن أي شيء إلا التشبث به والهمس له بمدى حبها.

قال هامسا قبالة عنقها:

– أحب أن أسمعك تقولين ذلك.

فقالت مرددة:

– أحبك.

– والآن وقد أصبحت خطبتنا رسمية ربما كان من المناسب أن تأخذيني إلى بيتك؟

– كيف يا سيد "أوكونر"؟ أرجو ألا تكون ملوحا بـ...

فقال مبديا جدية ووقارا مفتعلين:

– لا يا سيدتي. لا أهدف إلا إلى مناقشة موضوع زواجنا.

– ظننت أنه من الممكن أن تكوني قد طلبت من "بوبيه" أن تكون إشبينتك.

اتسعت عيناها دهشة:

– النادلة بالفندق؟

– نعم. بالتأكيد ؛لأنه لولاها ربما ما عرفت مقداري.

– لا مجال لذلك. ستكون "ليزلي" هي إشبينتي.

طوق كتفيها مصطحبا إياها نحو الستار.

– أعلم وقد وعدتها بذلك بالفعل. وبأن تكون إشبينة طفلنا الأول.

– تحدثت مع "ليزلي" في ذلك؟

وفضحت "ماكس" غمازتاه قبل حتى أن ينطق بشيء.

– كيف تعتقدين أنه كان يمكنني إذن إقناعها بالتحالف معي ضد "سادي"؟

قالت "كارين" متظاهرة بالغضب:

– جميل جدا. ألا ترى أنك قد تجاوزت الحدود قليلا؟ وكيف كان لك أن تعرف أنني ساكون متاهبة للحديث في أمر الزواج؟

– إنه الأمل يا عزيزتي.. أمل من نوعية خاصة جدا.

تمّت بعون الله